سياسة أمير الدروز في لبنان "بشير الشهابي الثاني" تجاه الحكم المصري للشام ١٢٤٦-١٢٥٦هـ/١٨٣١-١٨٤١م(*)

د. طلال بن خالد الطريفي
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المُشارك
في قسم التاريخ والحضارة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الملخص

تُعدّ الفترة التي أسَّسَ فيها محمد علي باشا حكمه في مصر بعد الحملة العثمانية لإخراج الفرنسيين من المفاصل المهمة في الحركة التاريخية، التي أرخت بظلالها على الوطن العربي، وأثرت في الوقت نفسه على سلطة الدولة العثمانية وحدودها الجغرافية.

ومن أهم الأحداث التي غيَّر فيها محمد علي باشا حركة التاريخ العربي مع بدايات القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي؛ عملياته العسكرية في الجزيرة العربية وبلاد الشام، حيث إنه كان يحلم بإقامة دولته في المناطق العثمانية الوطن العربي. وكان للكيانات السياسية في فترته تلك، وفي الشام تحديدًا، موقف من الحكم المصري وعملياته العسكرية، من خلال الولاة وزعماء ورؤساء العشائر والطبقات والطوائف.

ومن أهم تلك الكيانات السياسية التي تحالفت مع محمد علي في الشام إمارة بشير الشهابي الثاني في جنوبي لبنان، الذي غيَّر ولاءه من الدولة العثمانية إلى والي مصر، بعد قراءته للأحداث في عصره، وبناءً عليه كان عوناً لمحمد علي وابنه إبراهيم باشا في حروبهم في الشام، إذ ارتبط مصيره السياسي بوجودهم وقوتهم.

(*) **مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد (٧٨)، العدد (٧) أكتوبر ٢٠١٨.**

وكان لسياسة الأمير الشهابي أثر في علاقته المباشرة مع أبناء طائفته وعشيرته من الدروز في مناطقهم الجبلية، حيث أصبح موقفه وسياسته مع محمد علي ذا أثرٍ في معاداتهم ورفضهم لسيطرته في حدوده، بناءً على أنه استغل علاقته بوالي مصر في تصفية أبرز محالفيه الشيخ الدرزي بشير جنبلاط.

Abstract

The period during which Muhammad Ali Pasha established his rule in Egypt, after the Ottomans displaced the French, is considered one of the important historical events which casted a shadow over the Arab world and, at the same time, affected the Ottoman power and its geographical boundaries.

The most important events in which Muhammad Ali Pasha has changed the movement of Arab history at the beginning of the thirteenth century AH/ 19th century AD were his military operations in the Arabian Peninsula and the Levant. He dreamt of establishing his state in the Ottoman regions of the Arab world. During his rule, the political entities in that period in the Levant in particular took a stand against the Egyptian government and its military operations through the governors, leaders, chiefs/leaders of tribes, social classes and sects.

Among these political entities that allied with Muhammad Ali in the Levant and one of the most important was the emirate of Bashir al-Shehabi II in southern Lebanon, who changed his loyalty from the Ottoman state to the governor of Egypt, after fully understanding the events of his time. Accordingly, he was of great help to Muhammad Ali and his son Ibrahim Pasha in their wars in the Levant because he believed that his political destiny was linked to their existence and strength.

Prince Shihabi's policies had an impact on his relationship with members of his Druze community and clan in their mountainous regions, where his position towards Mohammed Ali caused their hostility and rejection of his control. Therefore, he used his strong relationship with the governor of Egypt to eliminate one of his important Druze allies: Sheikh Bashir Jumblatt.

مقدمة

حظي العالم العربي مع بدايات القرن الثاني عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي بمجموعة من الأحداث السياسية، التي غيَّرت وجه التاريخ، وأثرت بشكلٍ مباشر على كياناته السياسية، خاصة فيما يتعلق بالدولة العثمانية وحدودها، وظهور محمد علي باشا على مسرح الأحداث في مصر بعد إخراج الحملة الفرنسية منها.

ومع تنامي قوة محمد علي في ولايته، وقدرته على تطوير قوته العسكرية؛ أصبح خيارًا مُرًّا للدولة العثمانية للقضاء على القوى السياسية التي قامت في الوطن العربي مستقلةً عنها، إذ لم يكن والي مصر الخيار المناسب، غير أن الظروف أجبرت العثمانيين على الإيعاز لمحمد علي للقضاء على القوى المستقلة، على الرغم من أن العثمانيين كانوا يعون تمامًا الخطر الذي سيترتب على تنامي قوته إذا تمدَّد خارج حدوده المصرية، ولذلك كان دائمًا ما يسعى إلى أن يُبيِّن قدرته وقوته واستعداده التام بتنفيذ رغبات العثمانيين في الخروج من حدوده، لذا ما أن انتهى من مهمته في الجزيرة العربية واليونان حتى اضطر إلى الضغط على الباب العالي، واقتحم الشام رغمًا عن الباب العالي، مؤكدًا المخاوف التي كانت تتردد في إسطنبول من أنه سينتهز الفرصة لعزل العثمانيين عن الوطن العربي.

في المقابل كانت الأحداث التاريخية في الشام مهيأة لتدخلات محمد علي، نتيجةً لضعف السيطرة العثمانية على ولاتها، ونتيجة للصراعات التي نتجت عن تهور هؤلاء الولاة في إحداث صراع سياسي، ينبئ عن الضعف الحقيقي للقبضة العثمانية. ومن أهم تلك القوى إمارة الدروز في جنوبي لبنان التي كانت ذات أثرٍ في سير الأحداث، ويتولاها الأمير بشير الشهابي الثاني يسانده الشيخ بشير جنبلاط.

وفي هذا البحث سيتم تناول سياسة الأمير بشير تجاه الحكم المصري

للشام خلال فترة محمد علي باشا، والتي ستكشف عن قناعات هذا الأمير في ولائه وتحقيقه للرؤى السياسية التي كان يتأملها.

مشكلة البحث:

على الرُّغم من أن كثيرًا من البحوث التاريخية قد غطَّت فترة حكم محمد علي باشا لمصر، وحراكه السياسي العالمي، خاصةً في بلاد الشام؛ إلا أن أيًا منها لم يتناول بشكلٍ مباشر علاقته مع الأمير بشير الشهابي الثاني وإمارة الدروز في الشام عمومًا، وفي جنوبي لبنان على وجه الخصوص. لا سيَّما أن علاقة الأمير بالوالي اتسمت بالثقة المتبادلة والإخلاص.

ومن مشكلات البحث أن هنالك ما يحتاج إلى جمعه من معلومات تاريخية، متناثرة في المصادر المختلفة، سواءً في المصادر الأصلية من الوثائق والمؤلفات المعاصرة للحدث والقريبة منه، أو في المراجع العلمية التي تناولت موضوع الدراسة ضمن إطار واسعٍ في تاريخ محمد علي باشا أو إبراهيم باشا أو التاريخ الشامي واللبناني عامةً.

ولا يُلام الباحثون كثيرًا لعدم تناول الموضوع بشكلٍ دقيق، لأن جزءًا كبيرًا من مادته التاريخية موجودة في الوثائق المصرية، حيث تكشف دقائق الأمور وتفاصيلها في العلاقة بين الطرفين، وسياسة الأمير بشير الشهابي تجاه حكم محمد علي للشام. ومما يحتاج إلى تتبعٍ ومجهود؛ هو الكشف عن المادة الوثائقية لفترة طويلة من التاريخ الشامي والمصري.

الدراسات السابقة:

على الرغم من أن هناك دراسات تناولت الدروز أو الحكم العثماني أو نفوذ محمد علي على الشام في فترةِ البحث، إلا أنه لم أقف على دراسة تناولت سياسة الأمير بشير الشهابي تجاه الحكم المصري للشام بشكلٍ مُباشر، غير أن ثمَّةَ دراسات تناولت الموضوع بشكلٍ غير مباشر، ضمن سياق موضوعات أخرى، ومن تلك الدرسات التي تناولت الدروز أو الحكم

العثماني أو نفوذ محمد علي وحملات إبراهيم باشا على تلك الشام، واستفدت منها في جمع المادة العلمية المعلوماتية بشكلٍ كبير:

١. البطل الفاتح إبراهيم وفتحه الشام ١٨٣٢م، لداود بركات.
٢. ثورات الدروز والموارنة ضد حكم محمد علي في جبل لبنان ١٨٣٥-١٨٤٠م، لعبدالمنعم الجميعي.
٣. الحكم المصري في الشام ١٨٣١-١٨٤١م، للطيفة سالم.
٤. إبراهيم باشا في سوريا، لإسماعيل أبو عز الدين.
٥. إبراهيم باشا المصري في فلسطين ولبنان وسوريا، لأنطوان كتافاكو، ترجمة: الخوري بولس.

وهذه الدراسات المذكورة ومثلها الكثير في قائمة هذا البحث، ولكن لم يعثر الباحث -فيما وقف عليه- على بحث يتقاطع مع بحثه هذا في موضوعه أو عنوانه.

أهداف البحث:

١. التَّعرُّف على أهمية الكيانات السياسية في لبنان خلال القرن الثاني عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، وخاصةً الإمارات والزعامات العشائرية غير النظامية.
٢. بيان أثر هذه الزعامات السياسية في لبنان والشام عامةً في صياغة الحدث التاريخي.
٣. إدراك ما لإمارة الدروز في لبنان خاصة، والشام عامة من أهمية في توازن القوى السياسية.
٤. الكشف عن أسباب التحالف بين محمد علي باشا والأمير بشير الشهابي ضد الدولة العثمانية.
٥. إيضاح ما وصلت إليه الدولة العثمانية من ضعف وعجز عن إدارة ولاياتها عامة، والعربية منها خاصة.

٦. الكشف عن شخصية الأمير بشير الشهابي السياسية ودوره المحوري في تحقيق سياسة محمد علي التوسعيَّة في الشام.

٧. بيان مواقف الدروز تجاه سياسة الأمير بشير وسياسة محمد علي وأسبابها.

٨. التَّعَرُّف على ما يمتلكه الأمير بشير الشهابي من حنكةٍ سياسية ونفوذ، وما يتميز به من إخلاص ومواقف بطولية مع محمد علي.

٩. إبراز ما تميز به الدروز العرب من صلابة وقوة شكيمة ضد أعدائهم، أيًا كانت قوتهم وسطوتهم، سواءً العثمانيين أو المصريين.

تساؤلات البحث:

وفي ضوءِ ما فات؛ فإن هذا البحث يسعى إلى الإجابة عن مجموعةٍ من التساؤلات؛ أهمها:

لماذا اختار الأمير بشير الشهابي الثاني الولاء لمحمد علي، في الوقت الذي لم يتضح معه مستقبل العلاقات العثمانية المصرية وأثرها على الشام؟

وكيف تطورت العلاقة بين الطرفين من خلال أهم وقائعها ومسبباتها وتفاصيلها؟

ما المسار التاريخي للمذهب الدرزي والإمارة الدرزية في الشام؟

لماذا لم يتقبل الدروز عامةً الوجود المصري، سوى أولئك الذين يوالون الأمير بشير الثاني؟

فرضيَّات البحث:

ينطلق هذا البحث من مجموعة من الفرضيَّات المهمة، التي يجب أخذها في الاعتبار، أهمها:

- أن الشام كانت تلعب دورًا استراتيجيًّا ومهمًّا، في جميع الفترات التاريخية، وذلك لما تمثله من خيرات وموقع استراتيجي؛ يجعل السيطرة

عليها تُسهِّل السيطرة على غيرها من المواقع في الوطن العربي.

- أن الدولة العثمانية بدأت تشيخ خلال فترة الدراسة، ولم تعُد سياستها صالحة لما بعدها من أحداث، خاصةً مع الخطوات الجادة للاستعمار الأوربي لفرض نفسه في مواقع الشرق كافة، ومنها ما هو ضمن حدود العثمانيين في الوطن العربي.
- أن محمد علي باشا والي مصر كان أكثر قوةً وتنظيمًا، للحدِّ الذي جعله يثق بقدراته لأن يَرِث العثمانيين في الوطن العربي، وتطور الأمر لمحاولة السيطرة على إسطنبول، وبالتالي لم تكن السيطرة على الشام؛ سوى خطوة في طريق بناء إمبراطورية إسلامية جديدة على أنقاض الدولة العثمانية.
- لم يهنأ العثمانيون في السيطرة على الشام بشكلٍ مريح، ولم يستطع المصريون الأمر نفسه، مهما كانت قوتهم وقدرتهم العسكرية، ذلك لما لطبيعة الشام في التعددية الاجتماعية والدينية والسياسية، إذ إن كل طيف من الأطياف وطائفةٍ من الطوائف وقوةٍ من القوى كانت تمثل إرادة أقوى من أن تنضوي تحت حكم خارج حدودها.
- أن القوة العسكرية التي بناها محمد علي وتفوقت في الوقت نفسه على الدولة العثمانية؛ لم تستطع السيطرة الكاملة على بلاد الشام، وبالأخص جنوبي لبنان ودروز الجبل.
- أن الأمير بشير الشهابي؛ يتمتع بالقدرة السياسية والحنكة التي ضمنت له البقاء على رأس سلطة أتباعه طوال ٥٥ عامًا، ما يعني أنه لم يكن رجلاً عاديًا، بل إنه يتمتع بالقدرات الكافية لبناء قوةٍ مستقلة إذا ما هيئت له الظروف كما ينبغي، وتحرَّر من تبعيته للقوى المحيطة به.

منهج البحث:

بما أن البحث تاريخيٌّ؛ فإن المنهج التاريخي يفرض نفسه في هذه الدراسة في ذكر الوقائع والأحداث التاريخية، وبيانها بشكلٍ يُحاكي منطق التسلسل التاريخي، والاستفادة من النقد التاريخي باستقراء المادة المعروضة، ومن ثم تحليلها ومقارنتها واستنتاج ما يحتاج لبيان عطفًا على ما يمرّ من معلومات، ولا يظهر بيانه سوى بالمقارنة والاستقراء والتحليل.

حدود الدراسة:

بالنسبة للحدود الزمانية فتنحصر في بداية حملة محمد علي باشا على الشام، ووصول ابنه إبراهيم باشا إلى رحيلهم عن الشام، وذلك خلال الفترة ١٢٤٦-١٢٥٦هـ/١٨٣١-١٨٤١م، ويلزم التمهيد لهذه الدراسة استعراض فترات تاريخية بعيدة عن فترة الدراسة، غير أن التركيز الأساس خلالها على الفترة المحددَّة.

أما الحدود المكانية؛ فلا تحتاج إلى مزيدٍ من بيان، إذ إن لهذا البحث حدودًا مكانيَّة دقيقة، تتمثل في المنطقة الواقعة في جنوبي لبنان، والمتمثلة في المناطق الجبلية على الأغلب التي يستوطنها الدروز. وبما أن الدراسة تتناول طائفة عربية ممتدة في المنطقة الشاميَّة؛ فهي تحتاج إلى توسيع إطار الحدِّ الجغرافي لما هو أكثر اتساعًا في المنطقة الشاميَّة.

محاور البحث:

أولاً: التمهيد: ولاية محمد علي باشا لمصر وخططه تجاه الشام.

ثانيًا: التطور التاريخي لإمارة الدروز.

ثالثًا: إمارة بشير شهاب الثاني ١٢٠٢-١٢٥٦هـ/١٧٨٨-١٨٤٠م.

رابعًا: علاقة الأمير بشير الثاني مع محمد علي والي مصر.

خامسًا: سياسة الأمير بشير الشهابي الثاني تجاه قوات إبراهيم باشا بعد ضم عكا.

سادسًا: موقف الأمير بشير الشهابي من نهاية الحكم المصري في الشام.

سابعًا: الخاتمة ونتائج الدراسة.

مع ما كانت تعانيه الدولة العثمانية من ضعف السيطرة على ولاياتها في بدايات القرن الثالث عشر الهجري/نهايات القرن الثامن عشر الميلادي؛ سقطت مصر باحتلال الفرنسيين لها سنة ١٢١٢هـ/١٧٩٨م، الذين ظلّوا فيها ثلاث سنوات، ولم يخرجوا إلا بعد أن شجَّع المصريون العثمانيين على تجريد الحملات لتحريرهم، بعد أن جاهدوا الفرنسيين بأنفسهم؛ فكانت أولى الحملات العثمانية لتحرير مصر سنة ١٢١٤هـ/١٧٩٩م، ثم تحالف العثمانيون والإنجليز لطرد الفرنسيين من مصر، حيث كان جلاء الفرنسيين في ١٢١٦هـ/١٨٠١م بعد توالي عدد من الحملات العثمانية الإنجليزية[١].

وبعد أن تحرَّرت مصر من الفرنسيين؛ بقيت الحملة العثمانية لترتيب الأمور الداخلية، وكان من ضمن الجيش محمد علي باشا[٢] الذي استأثر بولاية مصر بأمرٍ من السلطان العثماني سنة ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م، بعد أن تخلص من جميع منافسيه في السلطة، وتقرَّب لوجهاء مصر حتى أيدوه[٣]. وبعد ذلك بدأ محمد علي بتقوية سلطته وترسانته العسكرية، باعتبار أنه كان يسعى جادًّا إلى أن يستقل عن الدولة العثمانية، ويبني مجدًا خاصًّا به ولعقبه من بعده[٤]، لذا كانت الدولة العثمانية تتعامل معه بحذرٍ شديد، على اعتبار أنها كانت تعي ما كان يسعى إليه من طموحات. وحين أراد العثمانيون إسقاط الدولة السعودية الأولى لم يلتفتوا في البداية إلى محمد علي، وحاولوا إنهاء هذه المهمة عن طريق ولاتهم في العراق والشام[٥]، غير أن هاتين الولايتين عجزتا عن ذلك، فلم يجد العثمانيون بُدًا من أن يطلبوا من محمد علي في مصر إنجازها، لذا حضَّر جيوشه للهجوم على الدولة السعودية الأولى التي أسقطها سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٨م[٦].

وفيما يبدو أن إسقاط الدولة السعودية الأولى على يد قوات محمد علي باشا؛ شجَّعه ليبدأ بالتطبيق العملي لبناء دولة خاصة به، ومستقلة عن

الدولة العثمانية، فكانت الشام الهدف التالي لمحمد علي بعد الجزيرة العربية. وقبل أن يبدأ والي مصر الخطوات العملية؛ وجد ما يحفزه على أن يتدخل في الشؤون الشامية مناهضا الدولة العثمانية بشكلٍ مباشر، خاصةً أنه سبق وأن لجأ إليه والي دمشق كنج يوسف باشا[٧] سنة ١٢٢٥هـ/١٨١٠م، وتوسط محمد علي له لدى الباب العالي لإعادته واليًا للشام مرةً أخرى، وتزكيته بأكثر من رسالة بعث بها لهذا الشأن[٨]، كما نادى بعزل والي صيدا سليمان باشا[٩]، لأنه كان سببًا في تأخير حملة الشام على الحجاز، بحسب ما ورد في وثيقةٍ من والي مصر إلى الباب العالي[١٠].

ولعل تلك الرسالة وإن كان المراد بها الوساطة، إلا أنها ربما حملت في ثناياها إيعازًا للسلطان بإظهار قوة محمد علي؛ إذ كان محتواها يخالف مراد السلطان الذي أمر بقتل كنج يوسف، كما قصد بذلك أيضا دعم موقف والي صيدا سليمان باشا، وهذا يعطي دلالةً على أن والي مصر يحاول بشكلٍ غير مباشر أن يبرز قوة موقفه في تحقيق رغبة الباب العالي في إسقاط الدولة السعودية الأولى، وبأنه الوحيد الذي من الممكن أن يعتمد عليه العثمانيون في تحقيق هذا الهدف.

كما أن محمد علي أصرَّ على عزل سليمان باشا؛ وهدد بأنه لن يستطيع تنفيذ رغبة الباب العالي في الحجاز وإسقاط الدولة السعودية، بحجة أنه يخشى دسائسه وهو في طريقه إلى الجزيرة العربية[١١]. وعلى الرغم من إلحاح محمد علي على الباب العالي؛ لم يفُز سوى بالعفو عن كنج يوسف من قبل السلطان[١٢]، لكنه لم يحقق رغبته في عزل سليمان وتولي كنج للشام.

ويتضح من خلال تلك المراسلات التي جرت بعد ذلك بين والي مصر والباب العالي؛ أن الشك في نوايا محمد علي في توسيع نفوذه كان حاضرًا لدى السلطان، خاصةً أنه بدأ بالتدخل في شؤون الشام الداخلية. ومن هذه الرسائل؛ ما أظهر به محمد علي خضوعه وتذلّله للسلطان العثماني،

وأشار إلى أن ثمة من يحسده في بلاط السلطان ممن أشاروا إلى أنه يتلكأ في القيام بالحملة على الحجاز[١٣]. وفي هذا إشارة واضحة على أن العلاقة بين الوالي والسلطان لم تكن تسودها الثقة، إنما تحتم على الدولة العثمانية أن تجاري محمد علي كي تحقق هدفها في الجزيرة العربية، وإعادة الحجاز إلى سلطتها مرةً أخرى.

في المقابل نجد أن نوايا محمد علي في الاستيلاء على الشام كانت حاضرةً وبقوة، خاصةً أنه بعد توسيع نفوذه وولايته؛ سيقوم بعزل المنطقة العربية تمامًا عن سلطة العثمانيين، وبالتالي تكون العراق الهدف الثاني بعد الشام، وبذلك يكون قد كوَّن إمبراطوريةً له في الوطن العربي، وأنهى السلطة العثمانية فيها[١٤]. ولم يترك محمد علي وسيلةً إلا وحاول إقناع الباب العالي بها لضم الشام لولايته، حتى إنه عرض على السلطان ١٠٠ ذهبة سنويًا لو وافق على ضم الشام لمصر[١٥].

وبعد أن حقق والي مصر نجاحه في الجزيرة العربية ١٢٣٣هـ/١٨١٨م؛ لم يفتر عن التفكير في الشام، وفي سنة ١٢٣٤هـ/١٨١٩م تحقق له ما يريد بوفاة سليمان باشا العادل، وحدث صراع بين الولاة في الشام، حيث دبَّ النزاع بين والي صيدا وعكا الجديد عبدالله باشا[١٦] ووالي دمشق درويش باشا[١٧]، ووجد في ذلك فرصةً للتدخل في شؤون الشام من جديد، خاصةً أن أمير جبل لبنان بشير الشهابي الثاني[١٨] قد تحالف مع عبدالله باشا، وأبديا ميولهما لمحمد علي، وحفزاه على ضم الشام بالقوة العسكرية[١٩]. وقبل الدخول في تفاصيل سياسة محمد علي باشا في الشام وسياسته تجاه إمارة الشهابي؛ يجب أن يتم التعريف بتطور الإمارة الدرزية في جنوبي لبنان.

التطور التاريخي لإمارة الدروز[٢٠]:

تكوَّنت جماعة الدروز خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي؛ نتيجة لدعوة الخليفة الفاطمي السادس الحاكم بأمر الله[٢١] سنة ٤٠٨هـ/١٠١٧م، بعد الانقلاب الذي تم على دعوته بعد غيبته سنة ٤١١هـ/١٠٢١م، حيث تركها كثيرون ممن اعتنقوها وعادوا إلى مذاهبهم السابقة، وعلى الرغم من ذلك استمرت الدعوة قرابة ربع قرن وأقفلت سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م، والذين تمسكوا بالمذهب الجديد لدعوة الحاكم كانوا في الغالب من سُكان المناطق الجبلية، وأهم مناطقهم وأقدمها جنوبي لبنان ووادي التيم[٢٢] عند جبل الشيخ[٢٣]، ومنها توزعت مجموعات من هؤلاء الذين أطلق عليهم الدروز بين المناطق الشامية، ويقيم أكبر عدد منهم في جبل الدروز[٢٤] في حوران[٢٥]، وجماعات أقل في جبل السَّماق[٢٦] جوار حلب ودمشق، وفي فلسطين على سفح جبل الكرمل[٢٧]، وذلك منذ بدايات القرن الحادي عشر الهجري/القرن السابع عشر الميلادي[٢٨].

ويعد الأمير السيِّد جمال الدين عبدالله التنوخي[٢٩] أهم شخصية بعد الدعاة الثلاثة الذين يسموّن بالحدود في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي، على الرغم من أنه ولد في ٨٢٠هـ/١٤١٧م بعد أكثر من أربعة قرون، وثاني أهم أمراء الدروز بعد التنوخي الأمير فخر الدين الثاني المعني[٣٠]، الذي تولَّت أسرته السلطة في جنوبي جبل لبنان بعد ضم الشام للدولة العثمانية، واستمر فخر الدين الثاني حتى تم أسره من قبل العثمانيين، وأقام في إسطنبول، وتولى بعده اثنان من المعنيين، وانتهت إمارتهم سنة ١١٠٨هـ/١٦٩٧م[٣١].

انتقلت إمارة الدروز بعد الأسرة المعينية إلى الأسرة الشهابية[٣٢]، حيث اختير الأمير بشير شهاب[٣٣] وصيًّا على الأمير حيدر شهاب[٣٤] ليكون حيدر أميرًا من قبل وجهاء الدروز بعد انقطاع الأسرة المعينية، وحيدر يرتبط بنسب المعينيين أخواله، لذا وقع الاختيار عليه، ولم يلبث الأمير بشير في

حكمه طويلاً حتى قُتل وتسلَّم الأمير حيدر إمارة الدروز خلال الفترة ١١٢٠- ١١٤٤هـ/١٧٠٨-١٧٣٢م، ثم تنازل عن الإمارة لابنه ملحم[٣٥] وحكم خلال الفترة ١١٤٤-١١٦٧هـ/١٧٣٢-١٧٥٤م، وبعد نهاية إمارته بالتنازل أيضًا؛ دبَّت الفوضى في الإمارة الدرزية، وتنازعتها القوى والأحزاب، حتى تسلَّم السلطة يوسف بن ملحم[٣٦] سنة ١١٨٤هـ/١٧٧٠م.

إمارة بشير شهاب الثاني ١٢٠٢-١٢٥٦هـ/١٧٨٨-١٨٤٠م:

يُعدّ الأمير بشير الشهابي الثاني الأشهر بين أمراء الدروز على الإطلاق خلال العصر الحديث، وأطولهم حكمًا، ولعل الظروف التي مرَّ بها في طفولته وشبابه قبل توليه السلطة بنت فيه شخصية قوية؛ لأنه نشأ في كنف إحدى خادمات والده، بعد أن تزوجت والدته، وحين أراد الدروز تعيين أمير لهم بدلاً عن يوسف بن ملحم؛ اجتمعوا على بشير جنبلاط[٣٧]، الذي رأى مناسبة تعيين بشير شهاب، لصغر سنه، ولتوقعه بأنه من السهل السيطرة عليه، تم تنصيبه أميرًا، وكان بشير جنبلاط وأنصاره أنصارًا له في كل ما يريد، مما زاد في قوته وشهرته منذ بداية عهده[٣٨].

وخلال فترة الأمير بشير الثاني جاءت الحملة الفرنسية إلى الشام سنة ١٢١٣هـ/١٧٩٩م، وبعد أن أسقطت يافا حاصرت عكا[٣٩]، وكان موقف الشهابي مساندًا للفرنسيين في حملتهم بالمساعدة والمؤونة بدايةً، على الرغم من أن الفرنسيين لم يكن مرحبًا بهم بين الدروز، لذا لم تطل هذه المساندة للحملة بتأثير من الإنجليز، حين حذروهم من أن الفرنسيين لا يلتزمون بميثاق، ومن الممكن أن ينقلبوا عليهم بعد السيطرة على عكا، وهذا ما جعل الإنجليز يتقبلون الأمير بشير ويرحبون به، مع أن الدروز في جنوبي لبنان بدأوا يأنفون من سياسته، ما جعل الإنجليز ينقلونه إلى قبرص التي ظلَّ فيها قرابة ٦ أشهر، ثم عاد وحسَّن علاقاته في محيطه السياسي سنة ١٢١٨هـ/١٨٠٣م[٤٠].

وبمرور الوقت لم يستمر الصفاء بين الشهابي والشيخ بشير جنبلاط، وفي سنة ١٢٣٤هـ/١٨١٩م بعد أن تولى عبدالله باشا الخازندار عكا وصيدا؛ حدث الصراع بين الأطراف الدرزية، إذ تحالف الأمير بشير الثاني مع والي عكا ضد والي دمشق، الذي كان مدعومًا من الدولة العثمانية، واتسعت دائرة النزاع بين الولاة والدروز، ما اضطر الأمير بشير الثاني إلى زيارة مصر سنة ١٢٣٤هـ/١٨٢١م، كي يتوسط له لدى الباب العالي في العفو عن حليفه عبدالله باشا، لذا استغل محمد علي الفرصة في التدخل المباشر في الشام، وبالفعل عفت الدولة عن عبدالله باشا(٤١).

علاقة الأمير بشير الثاني مع محمد علي والي مصر:

بدأت العلاقة بينهما بعد أن زار الأمير بشير الثاني مصر، ليتوسط له واليها عند الباب العالي، وبالفعل نجح محمد علي باشا في إقناع الباب العالي بطلب العفو، لكنه دخل في تحريك توازن القوى بين الأطراف المتنازعة في الشام، إذ دعم عبدالله باشا ضد والي دمشق درويش باشا، وفي الوقت نفسه اضطربت الأمور بين الأمير بشير الثاني والشيخ بشير جنبلاط، على خلفية النزاع بين الواليين في عكا ودمشق، حيث أظهر الشيخ بشير جنبلاط ميولاً لوالي دمشق، بينما ظل الأمير بشير الثاني موالِيًا لعبدالله باشا، الأمر الذي جعل الجنبلاطي في موقف ضعيف(٤٢)، وسعى بشير الثاني إلى إقناع محمد علي أن يطلب من والي عكا عبدالله باشا القبض على الشيخ بشير جنبلاط ويقضي عليه، وبالفعل شُنق الشيخ بشير جنبلاط في عكا(٤٣).

وفيما يبدو أن محمد علي باشا وجد في الأمير الشهابي الشخصية التي من الممكن الاعتماد عليها في تحقيق سياسته في الشام، إضافةً إلى والي صيدا وعكا، وفي هذين الشخصين حتمًا ستكون مهمة محمد علي أسهل بكثير مما لو أنه لم يكسب هذه القيادات، التي تنوعت بين قيادة أشبه ما تكون بالعشائرية، والأخرى قيادة نظامية من خلال الوالي.

وإذا ما تتبعنا حلم محمد علي بالشام؛ فإن كثيرًا من المطالب التي حققها للعثمانيين كانت على أمل أن يتولى الشام بمباركتهم، والعثمانيون لم يُبدوا الرفض صراحةً، لكنهم في الوقت نفسه كانوا يعملون على التسويف معه، لأنه كان مكلفًا بالقيام بأعمال عسكرية في الجزيرة العربية واليونان.

بعد أن حقق محمد علي رغبات العثمانيين بنسبةٍ عالية، ولم يُمنح الشام؛ أدرك أن الباب العالي من المستحيل أن يقوم بمثل هذه الخطوة، وفي الوقت نفسه لم يكن لدى العثمانيين القوة الكافية لردِّه عن طموحاته إذا ما قرر الاستيلاء على الشام بالقوة، لذا فور عودة إبراهيم باشا(٤٤) من اليونان عمل محمد علي على بناء أسطول جديد، وأعاد تسليح جيشه للمهمة القادمة، كما خاطب القوى الدولية المتمثلة ببريطانيا وفرنسا وصرَّح بطموحاته، وقد وافقته فرنسا، بينما لم يكن الأمر مقبولاً –إلى حد– ما بالنسبة للإنجليز(٤٥).

ولأهمية الشام الاستراتيجية والاقتصادية بالنسبة لوالي مصر؛ فإنه لم يكن ليتردد في تحقيق طموحاته، خاصةً بعد أن ضمن قائدين فيها، كانت مهمتهما إبلاغه بتطور الأحداث أولاً بأول، وعمل على إغراء القيادات السياسية والدينية في الشام، ودفع مقابل ذلك الأموال، لاستمالتهم وكسب ودهم، ودائمًا ما يتدخل في شؤون الشام، ويمارس صلاحية السلطان في توصية الولاة في تحقيق مهامهم(٤٦)، ويدخل في أدقِّ التفاصيل، التي كانت تبين بأنه ينوي الدخول في الشام بكل قوته.

في هذه الأثناء لم يكن محمد علي يرى الدولة العثمانية ندًا له، إذ إنه أيقن بعد وقوعها بين يديه لتحقيق أهدافها العسكرية(٤٧)؛ بأنها وصلت إلى مرحلة متقدمة من الضعف العسكري، ولم تكن تقوى على إنفاذ إرادتها على ولاتها في العراق والشام(٤٨)، كما زاد الاقتتال بين الولاة أنفسهم، وثارت القوى المحلية وانقسمت بين الولاة.

أيضًا بالنسبة للأمير بشير الثاني لم يكن أمر الدولة العثمانية يشغله

كثيرًا، إذ إنه وعى التوازن السياسي الجديد، الذي رجَحت فيه كفة والي مصر، وبناءً على ذلك فإن بشيرًا الثاني سار على سياسة موالاة محمد علي. كما أنه استوعب المرحلة الجديدة، التي جعلت كثيرًا من القيادات العربية تحاول التخلص من السلطة العثمانية، على الرغم من أن مثل هذه السياسة هي التي سار عليها الأمراء العرب قبل الأمير بشير الثاني(٤٩). أضف إلى ذلك أن الشهابي أوجس خيفةً من أن يلتف حول محمد علي من قيادات الدروز المخالفين له من يستطيع أن يستميله، ويصبح والي مصر سيفًا مسلطًا على الأمير بشير، لذا لم يجد الشهابي بدًا من أن يقطع الطريق على مخالفيه، خاصة بعد أن لجأ بعض الدروز إلى محمد علي(٥٠).

ونتيجةً للاضطرابات في الشام، وصراع الولاة، الذي اضطر العثمانيين للتلويح بعزل عبدالله باشا والأمير بشير الثاني؛ جاءت زيارة الأمير إلى محمد علي في مصر – التي أشرنا إليها سابقًا – مبررةً بمجموعةٍ من الأسباب:

١. خوفًا من أن تنهي الدولة العثمانية إمارة الأمير بشير الثاني على الشهابيين، بسبب أنه انحاز لوالي عكا وصيدا عبدالله باشا ضد درويش باشا المدعوم من العثمانيين.

٢. التوجس الذي بدأ يغير قناعات الأمير بشير تجاه الشيخ بشير جنبلاط، الذي أبدى تحيزه لوالي دمشق، وبالتالي فإن هذا الحليف الاستراتيجي للشهابي، إذا ما انقسمت قوة الدروز بينهم؛ فإنه لا بد للأمير من حليفٍ أقوى من الجنبلاطيين(٥١).

٣. كان الأمير بشير يعي تمامًا أنه في حال انتصر والي دمشق درويش باشا على عبدالله باشا؛ فإن هذا يعني نهايته لا محالة، سيَّما أن كفة درويش والشيخ بشير جنبلاط سترجح، وتنتهي قوته وإمارته.

٤. الأمر العثماني الفعلي بعزل عبدالله باشا والأمير بشير، حيث رفض

عبدالله باشا تسليم ولايته، بينما ذهب الشهابي إلى مصر، خوفًا من أن يكون هنالك اصطدام عسكري قد يقضي على آماله كافة.

وعلى أيِّ حال؛ فقد وجد والي مصر في لجوء الأمير بشير الشهابي الثاني فرصةً للتدخل المباشر في سياسة الشام بشكلٍ عام. وخلال زيارة الأمير بشير الثاني لمحمد علي؛ كانت الدولة العثمانية تواجه حرب اليونان، بعد أن هزَم الجيش اليوناني العثمانيين في معركة الترومبيل[٥٢] سنة ١٢٣٧هـ/١٨٢٢م، وكعادتها لم تجد الدولة العثمانية سوى محمد علي كي يُخمد الفتنة في اليونان، والذي سبق وأن استغل زيارة الأمير له، وحصل منه على وعدٍ بإمداد الحملة بعشرة آلاف مقاتل من اللبنانيين[٥٣].

ومما كان مكلفًا به الأمير بشير الثاني استخراج الفحم الحجري، وإرسال كميَّات محددة سنويًا لمحمد علي[٥٤]، لأنه من المواد الخام المهمة للطاقة والمحركات البخارية، وفي مرحلة الإعداد للجيش الجديد في مصر، والاستعدادات العسكرية التي كان يقوم بها والي مصر؛ استغل علاقته مع الأمير بشير الثاني في إمداده بما يحتاجه من القوة البشرية والمواد الخام المتوافرة في لبنان.

وتأكيدًا من محمد علي على الأمير بشير؛ كان يراسل عبدالله باشا ليضمن له ما التزم به الأمير، وأن يبرَّ بوعده تقديم المجندين من أتباعه الدروز في حملة اليونان[٥٥]، وفي الوقت نفسه يؤكد على الشهابي برسالةٍ خاصةٍ له أن يقود المجندين ابن الأمير بنفسه[٥٦]. في المقابل كان محمد علي يعرض خدماته بإرسال حملة عسكرية لمساعدة الأمير بشير في لبنان، بعدما حدثت بعض التمردات في حدود إمارته[٥٧].

وبالنسبة لحملة والي مصر على اليونان، فقد دَأَبَ محمد علي على ألَّا يقدم للدولة العثمانية عونًا قبل أن يحصل على مكاسب سياسية أو عسكرية أو غيرها، ولم يكن يتوقع أن يستنجد به العثمانيون في أمر اليونان، إذ قد

سبق أن أبدى تأييده للثورة اليونانية تعبيرًا منه للعالم الأوربي عن تعاطفه معهم، إلا أن الحسابات السياسية جعلته يغير موقفه المتعاطف مع اليونان إلى أن يحقق رغبة الباب العالي في التجهيز للحملة على اليونان، التي تحركت سنة ١٢٣٩هـ/١٨٢٤م، وحقق خلالها إبراهيم باشا انتصارات كاد يقضي فيها على الثوار بشكلٍ تام سنة ١٣٤٠هـ/١٨٢٥م، لولا أن تدخلت الدول الأوربية وفرضت على الدولة العثمانية الهدنة مع اليونان، وكان موقف والي مصر مرناً مع بريطانيا مقابل أن يتم الاعتراف به كقوة مستقلة عن العثمانيين، لكنه لم يحصل على ما أراد، لكنه رضخ للمؤامرة بالتظاهر بعدم معرفته بهجوم الحلفاء الأوربيين على أسطوله وجيوشه في اليونان، وبالتالي تم تدمير قوته، وقتل خلال المعركة قرابة ٣٠ ألفاً من الجيش المصري، علمًا أن إبراهيم باشا لم يكن موجودًا في الميدان خلال الهجوم(٥٨).

بعد هذه الهزيمة التي مُني بها محمد علي في اليونان؛ حاول اليونانيون مدَّ نفوذهم إلى سواحل بيروت سنة ١٢٤١هـ/١٨٢٦م، غير أن الأمير بشير جمع أتباعه ونزل إلى السواحل، وبعد أن أطلق اليونانيون النار على بيروت، وعلموا بتجمع الدروز لمواجهتهم؛ تركوا السواحل وعادوا عنها(٥٩).

ولعل في هذا الموقف الذي اتخذه الأمير الشهابي؛ ما يؤكد أنه كان يرى بأن المناطق اللبنانية والجبلية فيها من مسؤوليته، رغم موقفه الذي لم يكن على وفاقٍ تام مع العثمانيين، الذين لم يحركوا ساكناً تجاه هذه الحملة اليونانية، وبالتالي فإن الخيار الذي دائمًا ما يفرض نفسه أمام الأمير بشير هو أن محمد علي هو الحليف الذي يجب أن يتمسك بعلاقته معه، حتى وإن قدَّم في سبيل ذلك ما لا يطيقه من مطالب.

وثمَّة ما يجعلنا نشك في أن الشهابي كان على علمٍ بأن محمد علي سيقوم بحملةٍ عسكرية على الشام لضمها لولايته، يُثبت ذلك الانصياع التام

والطاعة التي كان يبديها دومًا أمام والي مصر فيما يأمر به.

خلال الفترة التي تلت الحملة المصرية على اليونان؛ بدأ الدروز ينفرون بوضوح من الأمير بشير الشهابي الثاني في جنوبي لبنان، وقد يكون ذلك نتيجةً للأحداث التي سبقت ذلك في الصراع بين الأمراء الدروز، والتي انتهت بمقتل الشيخ بشير جنبلاط. وعطفًا على ذلك أبدى الدروز المعارضين للأمير بشير ميولهم للدولة العثمانية(٦٠).

وهذا يعطينا صورةً عما كانت عليه الحال السياسية في الشام، من انقسام القوى السياسية فيها إلى قسمين: الأول الموالي لمحمد علي والمنفذ لأوامره، والثاني الذي أنِف من سياسة عبدالله باشا والأمير بشير الثاني؛ وانحاز لجانب العثمانيين.

ومع توالي الأحداث؛ ظهرت طموحات جديدة في الشام، تتمثل في سياسة والي عكا وصيدا عبدالله باشا، الذي بدأت أطماعه تشابه آمال محمد علي في السيطرة على الشام. وبات محمد علي ينفر من بعض الإجراءات التي يتراخى فيها عبدالله باشا ضد مصلحة والي مصر، ومنها تغاضيه عما كان يُهرب من الحنطة المصرية إلى الشام، وإصرار محمد علي على أن يلتزم والي عكا وصيدا بإعادة الحنطة والجمال التي هُرِّبت عليها(٦١). ورأى أيضًا أنه لا بد أن يُعيد إلحاحه على الباب العالي بإلحاق الشام لولايته، حتى يتمكن من تحقيق آماله من دون أن يحدث أي مواجهة صريحة مع الدولة العثمانية، وبذلك يدرك ما يصبو إليه من الاستفادة الاستراتيجية والاقتصادية التي تمثلها الشام، ولكي يكون أمرًا واقعًا بالنسبة للولاة في الشام، كعبدالله باشا(٦٢).

ومما يبدو أن الظروف الدولية التي تمر بها الدولة العثمانية آنذاك كانت في صالح محمد علي في مصر، وبعد أن أُعلِنت الحرب بين روسيا والعثمانيين سنة ١٢٤٤هـ/١٨٢٩م(٦٣)؛ لم يكن أمام العثمانيين إلا الاستنجاد

بجميع الولاة ومنهم محمد علي، الذي أصرَّ أن يبعث العساكر المصرية إلى العاصمة العثمانية إسطنبول عن طريق البر الشامي بدلاً من الطريق البحري، وهذا ما أبدى تجاهه العثمانيون قلقهم في رسالةٍ بُعثت لعبدالله باشا، وأُشير فيها إلى مثل هذا التخوف، على الرغم من أن الهدف الأساس من الرسالة هو تسهيل مرور العساكر المصرية(٦٤).

ومن الواضح أن القلق العثماني منبعه أن محمد علي لن يمر بالأراضي الشامية من دون أن يضمها قسرًا لولايته. وبناءً على ذلك بعثت الدولة برسالةٍ لمحمد علي تبيِّن فيها أنه لا موجب للقلق من مرور العساكر المصرية بحرًا، وأُعطي خيارًا بأنه إن كان ولا بُدَّ من الطريق البري؛ أن يتم إرسال العساكر على دفعات، وأن لا يأتوا دفعةً واحدة، كما سيتم تعيين مأمور خاص من قبل العثمانيين ليشرف على سفر العساكر وتسهيل أمورهم في البر الشامي، وأن واليي صيدا ودمشق على أتم استعداد لتقديم خدماتهما للعساكر المصرية خلال مرورهم بهم(٦٥).

وحينما وصلت الأمور إلى الدرجة التي بدأ فيها محمد علي يشك في ميل عبدالله باشا للعثمانيين، وتخوفه من مرور الجيش المصري؛ فإن محمد علي بدأ يمارس الضغط عليه بلغة التهديد. ومن ذلك مطالبته بإعادة الفلاحين المصريين الفارين من الخدمة إلى عكا، وإن لم يعُد هؤلاء سيضطر إلى إحضارهم بالقوة هم والشيوخ المجاورون لعكا لتأديبهم(٦٦).

وفي ظلّ هذه الأحداث كان الأمير بشير الشهابي يعاني من مشكلة التمرد عليه من قبل أتباعه، ولم يكن يدعم موقفه سوى علاقته القوية مع محمد علي باشا، الذي كان يمثل بالنسبة له طوق النجاة(٦٧)، وبالتالي فإن مسألة احتلال والي مصر للشام تُعد بمثابة إنقاذ للأمير.

وفيما يبدو أن الأمير بشير كان حائرًا في موازنة القوة بين والي مصر ووالي عكا وصيدا، حيث إن أمر الصراع بينهما بات واضحًا، على

الرغم من أنه لم يتم التصريح به، لذا كان ينفذ بعضًا مما كان يطلبه منه عبدالله باشا. ومن ذلك مهاجمة بعض القلاع اللبنانية التي كانت معادية لوالي عكا وصيدا، والتي نفذها الأمير بشير من دون تردد(٦٨).

هدأت المشكلة بين العثمانيين والروس بعض الوقت، مما قلل من أهمية إرسال العساكر المصرية، غير أن هذا الأمر لم يكن ليوقف طموحات محمد علي، وبالتالي ازداد التوتر بينه وبين وعبدالله باشا، إلى الدرجة التي بدأ فيها والي مصر يصرِّح بذلك علانيةً في رسائله، ويُبدي تخوفه منه(٦٩). ومما فجر الموقف بالنسبة لمحمد علي؛ أن عبدالله باشا منع الأمير بشير من أن يُرسل الأخشاب إلى مصر، كي يستخدمها في بناء السفن(٧٠).

بناءً على المواقف التي أبداها عبدالله باشا؛ عزم محمد علي الهجوم على عكا، وبدأ التجهيز لذلك في استدعاء جميع المراكب ليستخدمها في نقل الجنود إلى الشام سنة ١٢٤٦هـ/١٨٣١م(٧١). وتحرك جيشه بقيادة إبراهيم باشا في ٢٢ جمادى الأولى ١٢٤٧هـ الموافق ٢٩ أكتوبر ١٨٣١م برًّا وبحرًا، ولم يواجه الجيش أيَّ صعوبة في احتلال الأراضي الشامية، والتقت القوات البرية والبحرية في عكا وضرب الحصار عليها في ٢٠ جمادى الآخرة ١٢٤٧هـ الموافق ٢٦ نوفمبر ١٨٣١م(٧٢).

وخلال هذه الأحداث وقدوم القوات المصرية؛ بعث عبدالله باشا للأمير بشير الشهابي يطلب منه القدوم للوقوف معه في ردِّ القوات المصرية عن عكا، وفي الوقت نفسه كتب قائد الحملة المصرية إبراهيم باشا له يذكره ما بينه وبين أبيه من ود ووعود، الأمر الذي وقع فيه الشهابي في حيرةٍ بين أن يُنجد الوالي الذي يتبع له رسميًا، أو ينضم لقوات حليفه محمد علي باشا. لكنه حسم موقفه بناءً على ما بينه وبين والي عكا من ضغائن، سببها سياسة عبدالله باشا المستبدَّة؛ فقرر الوقوف مع قوات إبراهيم باشا، وجاء إليه وهو يحاصر عكا، بعد أن بعث له محمد علي رسالةً يهدده فيها إذا لم ينضم لابنه

أنه سيخرب دياره ويحوّل أرضه إلى مزارعٍ للزيتون(٧٣). أما عبدالله باشا فلم ينفع موقفه وتوددة للأمير بشير بعد أن علم بقدوم القوات المصرية، بعد أن غيَّر موقفه تجاهه بالتودد والتقرب والهدايا التي أرسلها له(٧٤).

وفي تحليلٍ لموقف الأمير بشير الشهابي الثاني المتردد، وبناءً على ما مرَّ معنا من معطيات؛ فإن عواطفه من الواضح أنها كانت تتجه نحو الانضمام لمحمد علي أكثر من عبدالله باشا، لكنه في الوقت نفسه وقع في حيرةٍ بين أن يتجه بعواطفه أم ينصاع للأمر الرسمي مع والي عكا. وقد يكون مبعثُ هذه الحيرة؛ الخوف من نتائج هذه الحملة، فإذا ما صمد عبدالله باشا في وجه القوات المصرية؛ سيكون مصير الشهابي مأساويًا، خاصةً أن عبدالله باشا سيتوافق مع أمراء الدروز المعارضين للأمير، وبالتالي لن يستطيع الصمود أمامهم وأمامه. لا سيَّما أن الجنبلاطيين وأمراء الدروز المعارضين للأمير الشهابي قد انضموا لوالي عكا(٧٥).

أما إن انتصر إبراهيم باشا؛ فإنه سيصبح خائنًا في نظره، سواءً انضم لوالي عكا أو التزم الحياد ولم يتدخل في الصراع. لكن ما عجَّل في حسم موقف الشهابي؛ رسالة محمد علي التي جعلته يبادر سريعًا للانضمام لقوات إبراهيم باشا.

وفي المحصلة، بعد أن انضم الأمير بشير الشهابي إلى معسكر إبراهيم باشا في حصاره لعكا، علم أمراء الدروز من آل جنبلاط وغيرهم من أن موازين القوى تغيرت، وبأن موقفهم بمساعدة والي عكا سيدعو لانتقام الأمير بشير لمخالفتهم له ولمواقفهم السابقة، لذا قدموا ولاءهم لوالي مصر، وطلبوا حمايتهم من الأمير بشير، وهذا ما قبله محمد علي، لكنه أراد أن يبقى الأمر بخفاء عن الشهابي حتى تنتهي مهمته ثم يقرر ما يراه(٧٦). ومع توالي الضغط من قبل إبراهيم باشا، وعلى الرغم من منعة عكا فترةً من الزمن إلا أنه تمكن من دخولها والاستيلاء عليها في ٢٨ من ذي الحجة ١٢٤٧هـ

الموافق ٢٩ من شهر مايو ١٨٣٢م، وقد أُخرج منها عبدالله باشا[٧٧] ومن يتبعه من قادته، ولم تستطع الدولة العثمانية حمايتها من إبراهيم باشا[٧٨].

سياسة الأمير بشير الشهابي الثاني تجاه قوات إبراهيم باشا بعد ضم عكا:

كان الأمير بشير الشهابي الثاني يتلقى التهاني بضم عكا لقوات إبراهيم باشا، ويتبادلها مع قادة محمد علي في الشام[٧٩]، ما ينبئ عن تواؤم تام بينه وبين الوالي في مصر (محمد علي) والقائد في سوريا (إبراهيم باشا)، خاصةً وأنه سبق وأن فوّض حكم جبل لبنان، وساعده إبراهيم باشا ضد معارضيه من أمراء الدروز، الأمر الذي جعله يُخلِص في ضم باقي بلاد الشام مع قوات إبراهيم باشا بعد عكا ضد قوات الدولة العثمانية التي لم تستطع الوقوف أمام الجيش المصري[٨٠].

ومما أسند إلى الأمير بشير من أعمال أنه أُوكِلَ إليه الإشراف على المدن الساحلية، وكان يختار متسلميها بنفسه، حيث عيَّن عليها أمراء دروز من أقاربه في بيروت وصيدا وصور[٨١]. أيضًا مما ساهم فيه الأمير مع إبراهيم باشا؛ الإشارة بإقصاء من كان يرى الأمير عدم مناسبتهم للسلطة والحكم من الولاة والأمراء[٨٢].

وبعد أن أبدى الأمير بشير كل فروض السمع والطاعة لجيش إبراهيم باشا؛ واجه مشكلة تذمر أتباعه الدروز، بسبب ما طلبه منه إبراهيم باشا من تجنيدهم في جيشه في الشام، الأمر الذي لم يكن مقبولاً التراخي فيه من قبل إبراهيم باشا، حيث أصرَّ على أن يحقق رغبته في ذلك، واعتبر أن مثل هذا التراخي والرفض من الدروز مما يُعدُّ تمردًا وشغبًا[٨٣]. وهذا الإصرار من إبراهيم باشا جعل المجتمع الدرزي وغيره من أطياف المجتمع اللبناني يرون الأمير بشير عميلاً للقوات المصرية بتنفيذ إرادتها، خاصةً مع فرض التجنيد الإجباري الذي يأنفه أمراء الدروز، لعدم رغبتهم في انخراط شبابهم مع القوات المصرية، حتى لا يُفسدوا درزيتهم على حسب ما كانوا يحتجون به،

إضافةً إلى أن الشباب المزارعين كانوا يأنفون ذلك، لأن في تجنيدهم تعطيلاً للزراعة، أيضًا يزيد من حنق الأطياف اللبنانية ما كان يفرضه إبراهيم باشا من ضرائب وسُخرة عليهم، كي يؤمن الرجال والأموال لدعم قوته العسكرية، لا سيَّما بعد أن وصلت قواته إلى الأناضول، واضطر لبناء الحصون فيها(٨٤).

كما لم يكن الدروز على وفاق مع إبراهيم باشا، أو لم يكونوا مرحبين به، على الرغم من إذعانهم له، إذ إنه سبق أن هاجم شيوخ الدروز الذين هربوا إلى حمص من الموالين للعثمانيين، وهدم دورهم ودار قاضيهم(٨٥). وبعد حادثة حمص؛ اتضح أن إبراهيم باشا أراد أن يقهر معارضيه فيها، إذ عيَّن الأمير بشير الشهابي أميرًا عليها لفترةٍ، وطلب منه أن يضبط أمورها وأن يُخلص في مهمته(٨٦). وفي هذا الإجراء من إبراهيم باشا ما ينم عن عزمه على الإيغال في تعميق جراح المنهزمين، سواءً من مناصري العثمانيين من أهل البلاد، أو من المعارضين له من أمراء الدروز، الذين لم تعد لهم طاقةً في طاعة أميرهم بشير الشهابي.

وبذلك يتضح لنا أن إبراهيم باشا كان يعتمد بشكلٍ كبير على الأمير بشير في كثيرٍ من المهام، خاصةً تلك التي تحتاج إلى رجلٍ كفء من الممكن الاعتماد عليه. ومن ذلك ما حدث في القدس من فتنة بين المسيحيين والنصيرية(٨٧) ضد الحكم المصري، وتزامنه مع التمرد في طرابلس واللاذقية سنة ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م، إذ انتدب لها الأمير الشهابي إلى القدس، فواجه الثوار فيها، وكانت مواجهته مُبِيْرَةً(٨٨)، إذ أحرق ٩٥ قرية للثوار وقطع أشجارها(٨٩). كما أرسل إبراهيم باشا خليل ابن الأمير بشير إلى طرابلس واللاذقية، واستطاع السيطرة وقهر المتمردين وإجبارهم على الانخراط في الجيش المصري(٩٠).

وفيما يبدو أن القسوة التي واجه بها الأمير ثورة القدس وابنه في

طرابلس واللاذقية كانت بإيعازٍ من إبراهيم باشا، بحكم أن هذه التمردات كانت لافتة للانتباه في الشام، ومتزامنة مع بعضها، خاصةً أن إبراهيم باشا لم يكن يرغب بالانشغال عن المحاولات العثمانية بالثورات في الأراضي التي ضمها إليه، وإذا ما انشغل بها؛ فإن ذلك قد يكون عاملاً مساعدًا للعثمانيين للاتصال بالمتمردين فيما لو طال أمد تمردهم، خاصةً أن كثيرًا من الأهالي بدأوا يحنون للحكم العثماني نتيجة لسياسة إبراهيم باشا. إذن فالتمرد في الشام نتيجة إلى ما كان إبراهيم باشا يفرضه على الأهالي من ضرائب وأموال[٩١]، كان الهدف منها الصرف على مزيدٍ من الأعمال العسكرية التي كان يقوم بها في الشام، وفي خططه للوصول إلى الأراضي العثمانية في الأناضول.

وبالنسبة للأمير بشير فلم يكن يعارض إبراهيم باشا في ما يطلبه منه، إلا أنه أبدى نوعًا من التذمر بعد أن طلب إبراهيم منه تجنيد ما يقارب ١٦٠٠ درزي لمدة ١٥ سنة في الجيش المصري، وهذا التذمر من الأمير جاء على خلفية ضخامة العدد المطلوب منه، ولأن إبراهيم باشا كان يرى في الشهابي حليفاً استراتيجيًّا؛ لم يكن قاسيًا فظًّا في طلبه، حيث فاوض الأمير بتقليل العدد وحدده الشهابي بالنصف ٨٠٠ مقاتل، الأمر الذي تذمَّر منه أمراء الدروز أيضًا، وشمل هذا التذمر المسيحيين، إذ أُشيع أن إبراهيم باشا يطلب منهم ١٦٠٠ مجند أيضًا، لكنهم حركوا القوى الدولية، ولم يقم إبراهيم بفرض الأمر عليهم، سوى في تقديم ٢٥٠ رجلاً من المسيحيين للعمل في الورش الخاصة بجيش محمد علي في عكا[٩٢]، ببنما أصرَّ محمد علي بنفسه على تجنيد الدروز، ووصل العدد إلى ١٠٠٠ مجند من الدروز، ونظرًا لتحقيق بعض مطالب أمراء الدروز، ورغبة الأمير بشير أيضًا؛ كانت الفرقة الدرزية مستقلةً، بمعزلٍ عن فرق الجيش الأخرى[٩٣]. ولعل تمسك محمد علي بضرورة تقديم مجندين من الدروز؛ كان من الأخطاء الإدارية التي ارتكبها في الشام، وقد يعود تعنته وتمسكه بالتجنيد بسبب فشله في تجنيد السودانيين؛ فرأى أنه لزامًا عليه أن يطوِّر القوة البشرية لديه، خاصةً لما

عُرِف عن رجال الشام من قوةٍ وبأس. لذا ينقل أحد الباحثين عن محمد علي قوله: "من جبال لبنان أجند جنودي. فأدرب منهم جيشًا كبيرًا ولا أقف به إلا على ضفاف دجلة والفرات"(٩٤).

كما أمر محمد علي بعد ذلك ابنه إبراهيم باشا بضرورة نزع سلاح الدروز، نتيجةً لموقفهم الرافض في بداية الأمر وخوفه من أن يقوموا بالتمرد عليه(٩٥). وفي البداية لم يكن إبراهيم مرتاحًا لقرار والده، لكنه مع الوقت نفسه أيقن أن أمرًا كهذا يجب أن يؤخذ في الاعتبار، خاصةً بعد أن جاءته الأخبار بأن أمراء الدروز على اتصال بالدولة العثمانية، لذا في ١٢٥١هـ/١٨٣٥م جرَّد حملاته على الدروز، ودعا الأمير بشير لمعاونته على الممتنعين عن نزع السلاح من الدروز، الأمر الذي جعل الأمير يناشد الدروز لنزع السلاح من دون مقاومة(٩٦).

غير أن الدروز في جميع مناطقهم لم يكونوا لينصاعوا لأمر إبراهيم ولا يستجيبوا لنداءات الأمير بشير، حيث بدأت ثورات الدروز في وادي التيم وحوران والشوف(٩٧)، وتولى الولاة في دمشق وغيرها من البلدان الشامية تجريد الحملات على الدروز في مناطقهم، وكانت الغلبة بنسبةٍ كبيرة للدروز، وهذا ما أرهق قوات إبراهيم باشا، حتى إن بعض الحملات المصرية قُتل جميع من فيها، وبعضها لم ينج منها سوى القائد وقليل من عساكره(٩٨).

وفي هذه المواجهات العسكرية ما يؤكد أن محمد علي وابنه وقعا في الخطأ وتقدير معاملتهم مع دروز الشام بشكلٍ عام، ودروز لبنان على وجه الخصوص، سيَّما أن ثوار الدروز في الشام عامة كانوا يتحركون على قلب رجلٍ واحد، ودائمًا ما ينسحبون بشكلٍ تكتيكي أمام القوات المصرية، ويهاجمونهم في مناطق يجتمعون فيها من كل مكان، رغم قلة عددهم وعدتهم. وهذا الأمر بث الرعب بين عسكر إبراهيم باشا وولاته.

وعلى الرغم من أن إبراهيم باشا ووالده عوَّلا على علاقتهما بالأمير

بشير الشهابي وطاعته وإخلاصه، ونسيا أنه وإن أخلص لهما، إلا أنه لم يكن يستطع السيطرة التامة على الدروز، الذين كانوا قبل ذلك على خلاف معه، ومنشأ هذا الخلاف بعد أن غيَّر سياسته تجاه الدولة العثمانية، وكانت له اليد الطولى في إعدام الشيخ بشير جنبلاط، وهذا ما جعلهم ينظرون إليه على أنه مطواع لمحمد علي وابنه، وأنه مسلوب الإرادة أمامهما، خاصةً الطريقة التي كان يضغط فيها محمد علي علي الأمير بشير ، ويجبره على تنفيذ أوامره من دون تردد، ابتداءً من حصاره أول الأمر لعكا، والطريقة التي حضر فيها الأمير بشير لإبراهيم باشا بعد تهديده. كل ذلك جعل من أمراء الدروز وشيوخهم يفقدون الثقة في الأمير بشير.

وخلال المواجهات مع الدروز سنة ١٢٥٢هـ/١٨٣٦م؛ أُجبرت قوات إبراهيم باشا على الانسحاب من إقليم راشيا[٩٩] وحاصبيا[١٠٠]، وهي في طريق انسحابها تمت إبادة كثير من القوات المصرية، وهذا ما دعا إبراهيم باشا إلى الاتصال بالأمير بشير وطلب منه أن يلتقيه بالقرب من حاصبيا لمهاجمة الدروز الثائرين فيها، وبالفعل أرسل الأمير ابنه خليل لينظم لحملة إبراهيم باشا، وفي طريق إبراهيم قابل فرقةً من الدروز كانت في طريقها إلى الثوار للانضمام إليهم، فأصر على القضاء عليها قبل وصولها، وبالفعل قضى على كل من فيها، إذ لم ينج منهم سوى رجل واحد، وأكمل مسيره، وفي المقابل كان المدد يصل الثائرين من دروز سوريا ولبنان، أما الأمير خليل فوصل قبل إبراهيم وقرر الهجوم على الدروز الكامنين ولم ينل منهم، فانتظر قدوم إبراهيم، الذي ما إن وصل حتى هجم على الثوار وحصرهم وأرهقهم، ما دعاهم لطلب الصلح، حيث فاوضه أحد شيوخهم، وعفا عنهم إبراهيم باشا مقابل نزع سلاحهم الذي معهم[١٠١].

أما الأمير بشير فقد توسط لدى محمد علي في أن يعفو عن شيوخ الدروز المأسورين في مصر، حيث بيَّن أنه لا يوجد ما يوجب الخوف من

عودتهم[١٠٢]، وهذا مما يعد ضمانة من الأمير بأن الشيوخ المأسورين لن يقوموا بالتمرد ضد المصريين في مناطقهم. وهذا من الأدوار التي كان يقوم بها الأمير بشير، إذ كان يهدف إلى تهدئة الأوضاع بين المصريين وأمراء الدروز، حتى يكسب ود الجميع، فيكون قد تفضَّل على والي مصر بكسب جزء من قيادات الدروز، وفي الوقت نفسه كسب جميلاً مع شيوخ طائفته.

كما خصَّص إبراهيم باشا مرتبات للشيوخ الذين تم إطلاق سراحهم من الدروز، ذلك في سبيل كسب ودهم، كي يكونوا عوناً لهم في عدم التمرد من جديد، وكان الرأي أن يتم تخصيص هذه المرتبات مما يقدمه الأمير بشير إلى مصر من مخصصات دائمة، غير أن إبراهيم باشا ارتأى ألا يتم إرهاق الأمير بمثل هذا، وأن تتولى القيادة المصرية في الشام ذلك[١٠٣].

وإن خفَّت تمردات الدروز ضد القوات المصرية، فهذا لا يعني أنها انتهت، إذ إنه بين حينٍ وآخر؛ كانت تظهر بعض الحركات والتمردات التي تستوجب التدخل العسكري في أغلب الأحوال. وعطفاً على ذلك؛ فإن الدروز كانوا دائمي التمرد، فلا تنقضي سنة من سنوات وجود إبراهيم باشا في الشام؛ إلا وقام الدروز بتمردٍ يعطي دلالةً على أن إبراهيم باشا لم يستطع حل الموقف نهائيًّا، ولا حتى الأمير بشير الشهابي الثاني الذي كان يعوِّل عليه محمد علي؛ إذ لم يكن له دور بارز في السيطرة على الدروز كما كان والي مصر وابنه يتوقعان.

ولو أحصينا المواجهات العسكرية بدقة؛ لتبين لنا أن الانتصارات تُرجح كفة أمراء الدروز على المصريين في عدد الانتصارات. وعلى الرغم من أن إبراهيم باشا أراد محاربة الدروز بنفسه كما مرَّ بنا، وإن كان قد هزمهم حقيقة؛ إلا أن التمردات اللاحقة والمتفرقة كانت تحقق انتصارات للدروز مزعجة للمصريين، ومنها انهزام الجيش المصري بالقرب من حوران سنة ١٢٥٣هـ/١٨٣٨م، والذي قضي فيه على جزء كبير من جنود

الحملة، وقتل قائدها(١٠٤).

ومن هنا يتضح أن تمرد الدروز كان من أبرز المشكلات التي واجهها إبراهيم باشا في الشام، وقد تكون من المشكلات الرئيسة التي كانت تقُضُّ مضاجع المصريين، وفي الوقت نفسه شجَّعت العثمانيين على تكرار المحاولات في استعادة الشام من المصريين. ولكن من الأمور الغريبة التي تلفت الانتباه، ما طلبه إبراهيم باشا في ١٢٥٤هـ/١٨٣٨م من الأمير بشير الشهابي الثاني بأن يستبدل هو وأبناؤه العمائم التي يلبسونها على رؤوسهم بالطرابيش، وهو ما لم يقاومه الأمير ولا أقاربه الذين طلب منهم تنفيذ الأمر(١٠٥). وما يدعو إلى التعجب هنا؛ من عدم مقاومة الشهابي وأقاربه تغيير أحد أهم تقاليدهم العربية الأصيلة التي تختص بهويتهم وأشكالهم ولباسهم، علمًا أن الدروز كانوا من أشد الناس تمسكًا بهذه التقاليد العربية. ولكن مما يبدو أن ذلك مجاراة من الشهابي للمصريين، خاصةً أنه انقاد في جميع ما كان يُطلب منه، ولن يقف في أمر طلبٍ لا يعدو عن كونه طلبًا شكليًّا. ولكن إن كان هذا الأمر بالنسبة للأمير بشيرٍ طبيعيًا، فهو أمرٌ مُستفز لمن هم على صراع مع الحكم المصري في الشام.

ولعل من أهم الأمور التي لم تدع الدروز يهدأون؛ ذلك الدعم الكبير الذي كان يتلقاه الأمير بشير الشهابي من محمد علي وابنه، لأنه منذ الوهلة الأولى التي قدِمت فيها الجيوش المصرية؛ كانت ترمز بشكلٍ أو آخر إلى الشهابي وتمثله في أعين مخالفيه من الدروز، كما أنه في الوقت نفسه إن كان يمثل جانبًا معارضًا كدرزي؛ فهو يمثل داعمًا قويًّا لدروز يرون في المصريين أعداءً لهم، وبالتالي أصبح الأمير عدوًّا لقاعدة عريضة من الدروز.

لذا يصف أحد الباحثين هذه الحال التي كان عليها الأمير الشهابي بقوله: "أدى استعانة محمد علي بالأمير بشير الشهابي إلى استياء اللبنانيين

منه لأنهم كانوا يرون في الأمير بشير حاكمًا مستبدًّا أوقع بين مشايخهم، وصادر ممتلكاتهم، وبذر بذور الشقاق بينهم"[١٠٦].

موقف الأمير بشير الشهابي من نهاية الحكم المصري في الشام:

لم تكن الأمور على ما يرام بالنسبة لإبراهيم باشا ووالده في الشام؛ إذ لم تمض على الحكم المصري فترة هدوء أو استقرار منذ أن دخلوا الشام[١٠٧]، فإن التفتوا إلى الولاة المعارضين لهم والموالين للعثمانيين؛ ظهر لهم أمراء الطوائف والزعماء المحليون، أو جاءتهم العساكر العثمانية التي لم تكن تمثل مصدر الخوف الحقيقي، وإن تم التعامل مع الجميع جاءت الدول الأوربية لتخلق لها قضايا مقلقة في المنطقة، أو المشكلات التي واجهها المصريون من خلال نقص المؤن والمواد الخام أحياناً. لذا تميز إبراهيم باشا بقدرةٍ عجيبة على مواجهة المشكلات في الشام، وتعامل معها بكل صبرٍ واقتدار، لذا كان يقال: "إن التعب لا يعرف لإبراهيم باشا سبيلاً"، إضافةً إلى الحزم الذي كانت تتسم به سياسته، وحرصه على التطوير والتقدم[١٠٨]، ولكن مواجهته للمشكلات الداخلية والخارجية جعلته يفقد توازنه في كثيرٍ من الأحيان.

وعلى الرغم من كل هذه التحديات والمواجهات والمنعطفات التي كان يمر بها المصريون؛ ظل الأمير بشير الشهابي موالِيًا لم يُبدِ يومًا سوء النية تجاه محمد علي وابنه، منذ أول يومٍ عاهدهم فيه في مصر، وهذا ما يبرر ثقة المعاملة مع إبراهيم باشا ووالده مع الأمير.

وفي نهاية فترة الحكم المصري للشام؛ كانت الثورات الدرزية تتوالى، وقد وصفت الوثائق المصرية هذه الثورات وما قاساه المصريون من صِعاب خلال مواجهة الثائرين مع نهايات سنة ١٢٥٣ه الموافق لبدايات ١٨٣٨م. وقد وصف إبراهيم باشا حال قواته في مواجهة الدروز في تقريرٍ لوالده، فكانت دائمًا ما يختلّ نظامها في المعارك مع الدروز الذين واجهوهم بشراسة،

وغالبًا ما كان يصاب أو يقتل قادة جيش إبراهيم باشا خلال تلك المواجهات[١٠٩]. إضافةً إلى حالة الاختلال الأمني الذي أصاب الطرق بين المدن الشامية، خاصةً بين دمشق وبيروت وبين مدن الدروز[١١٠]، ووصل الحال إلى أن تمادى الثوار إلى تحريض القرويين حول دمشق على تحرير المجندين في الجيش المصري فيها[١١١].

وفي مواجهة هذه الظروف الصعبة من قبل إبراهيم باشا؛ اقتُرِح عليه أن يرسل حملة بقيادة الأمير خليل بن بشير الشهابي إلى مواقع ثوار الدروز في لبنان بقيادة مجموعة من المسيحيين العرب بعد تسليحهم[١١٢]، كما اتجه إبراهيم باشا لسحب الجنود النظاميين المعسكرين خارج المدن الشامية لمواجهة الثوار، واستبدالهم بالمسيحيين من جبل الدروز[١١٣]، وذلك نظرًا لحالة الهلع التي أصابت الجنود المصريين وعائلاتهم، حيث كثر القتل في جيش إبراهيم باشا[١١٤].

ولعل محمد علي قد تنبه إلى خطورة الموقف مع تصاعد أزمة الثوار، وطالب ابنه بسرعة اتخاذ التدابير اللازمة لتهدئة الأمور مع الدروز، بدلاً من قمعهم بالقوة، تحسبًا لتحرك العثمانيين تجاه الشام في ظل هذه الأوضاع المتوترة، إذ إن الحالة السياسية كانت مناسبة لاسترداد الشام من قبل العثمانيين إذا ما استمر الثوار في تمردهم[١١٥]. وكانت توقعات محمد علي صائبة؛ إذ وصل إلى إبراهيم باشا إخباريات أن العثمانيين يعملون على تعبيد الطرق وترميمها، ويقومون بادخار المؤن استعدادًا للقيام بحملة على المصريين في الشام[١١٦].

وفي ظلّ هذه الأحداث؛ لم يغفل إبراهيم باشا عن الاستعانة بالأمير بشير في مواجهة الثائرين، فأرسل المجندين غير النظاميين من مصر عبر البحر إلى شواطئ بيروت، وكان الرأي أن تُرسل الدواب لهم في مواقعهم ليستعينوا بها كمشاة عسكريين، لكن نظرًا لقرب الأمير بشير منهم، طلب منه

إبراهيم باشا بأن يوفر له الدواب عن طريقه للعسكر غير النظاميين[١١٧]. كما كانت قوات الأمير بشير دائمة المواجهة مع الثائرين الدروز، ومن الواضح أن هذه المواجهات أرهقت قوات الأمير الشهابي كما أرهقت جيش إبراهيم النظامي[١١٨]، وعلى الرغم من أن الأمير والقوات المصرية انتصروا على الثوار في بعض المواقع[١١٩]، غير أن ذلك لم يكن بالقضاء النهائي عليهم، مع أن الثائرين الدروز أعلنوا الاستسلام في ١٨ جمادى الأولى ١٢٥٤هـ الموافق ٩ أغسطس ١٨٣٨م[١٢٠].

ولأن أمر الدروز أصبح هاجسًا مخيفًا لإبراهيم باشا؛ فإنه ارتأى أن يتولى السيطرة على المنطقة الدرزية فرق من بادية المنطقة الذين يتم تجنيدهم وتقديمهم من قبل الأمير بشير الشهابي[١٢١].

لكن ما أن هدأت ثورة الدروز؛ حتى واجه المصريون خطر الحملة العثمانية على سوريا، لإخراج قوات محمد علي منها، لذا أعاد إبراهيم باشا ترتيب حساباته من جديد، ووجه الأمير بشير الشهابي بأن يرسل فرقةً من رجاله إلى دمشق للحفاظ على الأمن فيها، فأرسل الأمير ابنه خليل مع ١٥٠٠ مقاتل من رجاله، وعسكر خارج دمشق حفاظًا على أمنها، بينما انطلق إبراهيم إلى الحدود مع الدولة العثمانية شمال الشام، والتقى بالحملة العثمانية وهزمها[١٢٢].

ومع تدهور أوضاع الجيش المصري في الشام؛ بدأت الدول الأوربية تظهر نوعًا من الامتعاض لسياسة إبراهيم باشا في الشام، خاصةً أنه لم يستطع ضبط الأمور فيها، ولتأثره بالأحداث المتوالية من الثورات والمشكلات والمواجهة مع العثمانيين، إذ بدأ يتعامل مع التجار بطريقة لم تكن تدعو لارتياحهم، لذا بدأ إبراهيم يتوجس خيفةً من قيام ثورة عليه في دمشق وبقية المناطق الشامية، يبرر ذلك ما لاحظه من زيادة التسلح بين الأهالي[١٢٣]. في المقابل كانت الدول الأوربية تتواصل مع القيادات

والزعامات المحلية في الشام، وتوحي لهم بأن ثمة توجهًا في إجبار المصريين على ترك الشام نهائيًا، وإعادة السلطة العثمانية من جديد(١٢٤).

ولأن الدروز كانوا يخفون النار تحت الرماد؛ انتفضوا من جديد في ٢١ ربيع الآخر ١٢٥٥هـ الموافق ٤ يوليو ١٨٣٩م(١٢٥)، ولم يكن إبراهيم باشا حينها يتعامل مع الموقف بسياسة وحكمة، إذ إن الثورات بدأت تظهر في كل مكان من الشام، وفي المقابل كان إبراهيم يأمر بإعدام من يتم القبض عليه من شيوخ وزعماء الثوار عامة، وقد عمل الأمير بشير على القبض على بعض هؤلاء الثوار، وسلمهم للولاة التابعين لمحمد علي في الشام لإعدامهم(١٢٦).

كما عمل إبراهيم على القبض على زعماء الثورة الدرزية قرابة ٤٠ زعيمًا ونفاهم إلى مصر ثم إلى السودان، الأمر الذي اشتدت معه المقاومة ضد المصريين وحليفهم الأمير بشير الشهابي، الذي وجد نفسه في مأزقٍ حقيقي، إذ إنه كان مضطرًّا إلى مجاراة سياسة إبراهيم باشا المتهورة في القضاء على المتمردين الدروز، ولكنه في الوقت نفسه كان يفكر في موالاته لمن سيتولى الأمر إذا ما رحلت القوات المصرية عن الشام، إذ سيكون وحيدًا في ميدان الصراع مع الدروز الذين طالما وقف في وجه ثورتهم مع المصريين في فترة توليهم، ولم يلبث كثيرا، فبعد معاهدة لندن(١٢٧) في ١٩ جمادى الأولى ١٢٥٦هـ الموافق ١٩ يوليو ١٨٤٠م التي أجبرت محمد علي على سحب قواته من الشام؛ استدعى إبراهيم باشا قواته من السواحل الشامية، وفرَّق الأسلحة قبل مغادرته الشام في الجوامع والبيوت، وقبل أن يترك الشام متجهًا إلى مصر خطب بالناس، وحثَّهم على لزوم الأمن لحين تسلُّم العثمانيين السلطة في الشام كاملةً، على الرغم من أنه واجه بعض الفرق العسكرية العثمانية وهو في طريق انسحابه وهزمها(١٢٨).

ومع ما يراه الأمير بشير الشهابي الثاني من أفولٍ للقوة المصرية، وهو

يعي تمامًا أن إبراهيم باشا راحل لا محالة؛ إلا أنه كان محافظًا على ولائه وطاعته لمحمد علي، حتى إن القنصل الإنجليزي أرسل إليه يؤكد له أن القوات المصرية راحلة، وأنه يجب عليه إما التسليم للقوة الجديدة، أو أن يلوذ بالعثمانيين قبل أن يتم الانتقام منه من قبل القوى المحلية، ولكنه لم يُجب القنصلَ على رسالته، وانتظر حتى جاءت القوات العثمانية، وحين اقتربت من حدود إمارته؛ طلبت منه المثول مشعرةً إياه أنها ستُقِرُّه على ما في يده من سلطةٍ وإمارة، لكنه ما أن حضر إلى صيدا؛ خيرته الدولة العثمانية في المكان الذي يود أن يُنفى إليه، على أن لا يكون تحت سلطة محمد علي، وقد اختار النفي إلى مالطة، التي انتقل إليها مع حاشيته(١٢٩).

وبنفي الأمير بشير الشهابي من لبنان؛ انتهى حكم أكثر الأمراء في تاريخ الدروز قوةً، ذلك لقدرته على المحافظة على سلطته قرابة ٥٥ عامًا؛ أثبت خلالها صلابته وقوته، وإخلاصه بعد أعطى وعده لمحمد علي، وعلى الرغم من أنه كان يستطيع أن يغير هواه؛ إلا أنه بقي على إخلاصه، رغم أن كثيرًا من الفرص سنحت له أن يستقطب قيادات الدروز وينضم لثوراتهم على المصريين.

خَلُصت الدراسة إلى عددٍ من النتائج؛ أهمها:

١. تَتَبَّعت الدراسة ظهور المذهب الدرزي في بلاد الشام، والإمارة الدرزيَّة فيها، وفي جنوبي لبنان تحديدًا من بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وحتى تولي الشهابيين الدروز الإمارة، وتحديدًا أهم أمرائهم الأمير بشير الشهابي الثاني خلال فترة حكمه ١٢٠٢-١٢٥٦هـ/١٧٨٨-١٨٤٠م، التي تزامنت مع التغلغل المصري في بلاد الشام، وضعف القبضة العثمانية على ولاتهم فيها. كما أثبتت الدراسة في الوقت نفسه أن بشيرًا يُعدُّ الأبرز والأقوى والأكثر صلابةً بين أمراء الدروز، بغض النظر عن آراء المعارضين له من طبقات المجتمع

الدرزي في الشام عامةً ولبنان خاصة. وتأتي قوته وصلابته نتيجةً لقدرته على المحافظة على توازن القوى في محيطه، وسعيه إلى موالاة الطرف الأقوى على مسرح الأحداث التاريخية في عصره، أيضًا قدرته على استغلال الأحداث التاريخية في صالحه، وحنكته في موازنة الظروف بموالاة الشيخ بشير جنبلاط الدرزي في الفترة التي كانت تتطلب موالاته، والتخلص من سيطرته في الوقت المناسب أيضًا.

٢. من خلال ما جاء معنا في الدراسة من نتائج؛ سنصل إلى أن الأمير بشير الشهابي لم يكن يغفل قراءة الأحداث السياسية من حوله، لذا حين رأى أن الكفة تميل إلى والي مصر محمد علي باشا؛ سارع إلى تقديم ولائه له، على الرغم من أنه في الفترة التي زار فيها مصر لتقديم ولاءه لم تتضح الرؤية بشكلٍ كامل، ما يعني أنه أقدم على ما كان عليه من دون أن تجبره الظروف رغمًا عنه، بل لقدرته على اتخاذ القرار. وإن كان بعض المؤرخين يرى بأن بشيرًا لم يوفق في سياسته، فمع جلِّ التقدير لكل من كتب في تاريخ هذا الأمير؛ فإنه اتخذ القرار المناسب في الوقت المناسب، وكانت تحركاته وسياسته وولاؤه للمصريين خير شاهدٍ على ذلك، باعتبار أن المنطق التاريخي كان يحاكي ما ذهب إليه الشهابي. وإن كانت الأمور قد انقلبت ضد سياسته وضد محمد علي باشا؛ فذلك لم يكن لقوةِ العثمانيين، بل للتدخل الدولي، الذي كان يسعى إلى عدم قيام دولة في الوطن العربي، من الممكن أن تنهي السياسة الاستعمارية المرسومة للوجود الأوربي، ولذلك فإن ما حدث بعد معاهدة لندن سنة ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م على خلاف قراءة الواقع، إذ لم يتوقع المحللون في تلك الفترة أو السياسيون بأن أمرًا كهذا قد يحدث، وبالتالي فإن الأمير بشير الشهابي لم يخطئ الحسابات السياسية، لولا أنه أُجبر مع والي مصر على الموقف الذي وضعوا فيه، رغم ضعف العثمانيين، الذين أثبتوا فشلهم في مواجهة القوة المصرية بنسبةٍ كبيرة في جميع المواجهات

التي تمت بين الطرفين على أرضِ الشام.

٣. من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة؛ ما يتصف به الدروز العرب من صلابة وقوة شكيمة، إذ أثبتت الأحداث أنهم كانوا أقوى بكثير من القوى التي حاولت السيطرة عليهم، وبذلك لم تتم قراءة صفات عرب الدروز كما يجب من طرفِ محمد علي وابنه إبراهيم باشا. ولو أنهم كانوا أكثر حنكةً لسعوا لكسب الدروز كأهم طيف اجتماعي في بلاد الشام، يدلِّل على ذلك أن الدروز حين يميلون إلى طرفٍ من الأطراف؛ ترجح كفته، وإن كانوا قد هزموا في بعض المواجهات مع القوات المصرية، إلا أنهم في الوقت نفسه بثوا الرعب والخوف في نفوس الجنود النظاميين المصريين، على الرغم من أنهم لم يكونوا يمثلون جيشًا نظاميًّا، فقد استطاعوا من خلال المواجهة مع جيش إبراهيم باشا أن يبيدوا في بعض المواقع نسبةً كبيرةً من جيشه، وقتلوا وأصابوا كثيرًا من قادته. لذا سنلحظ أنه خلال نهاية فترة وجود الجيش المصري في الشام؛ اضطر إبراهيم باشا إلى سحب الجنود النظاميين من المواجهة المباشرة مع الدروز، ودفع بدلاً عنهم المتطوعين من المصريين، ومن أجابه من الفئات الاجتماعية الشامية، ذلك خوفًا من أن يثبت الدروز أنهم أصبحوا عقدةً في وجه المصريين، أو أن تسري قاعدةً في أن المتمردين الدروز على إبراهيم باشا لا يمكن هزيتهم. ومع أن إبراهيم باشا عمل على هذه السياسة في نهاية وجوده بالشام؛ إلا أن الدروز كانوا محورًا في إضعافه في الشام، وكانوا مصدر قلقٍ دائم.

٤. كانت الحسابات التي عمل عليها محمد علي باشا قبل دخوله الميدان الشامي منطقيَّة وسياسية إلى درجةٍ كبيرة، لذلك أثبت نجاحه في السيطرة على الشام، لكن المنطق أحياناً قد لا يأتي بنتائج إيجابية كما هو متوقع. فمن الحسابات التي قام بها محمد علي؛ كسب قيادات شامية مهمة، تكون عوناً له في الميدان، وبين طبقات المجتمع، ومن أهم هذه القيادات والي

عكا وصيدا في البداية، وأمير الدروز في جنوبي لبنان بشير الشهابي. لكنه لم يكن يتوقع أن والي عكا وصيدا سيتغير ولاؤه، وكان يتوقع بأن دعمه للأمير بشير سيجعل الدروز عامةً طوعًا له. لذا كان مستجيبًا لرغبة الشهابي أحيانًا؛ خاصة في الخطأ الكبير الذي ارتكبه في إعدام الشيخ بشير جنبلاط لصالح الأمير بشير، بينما الأكثر دهاءً لو أنه عمل على الموازنة بينهما، سواءً بإعادة التواؤم بينهما أو تقسيم المنطقة بين القوتين الدرزيتين، ومن ثم يضمن ولاء الجميع. خاصةً أن في ضمان دروز جنوبي لبنان؛ سيضمن الدروز في دمشق وقراها والشام عامة، لكنه صبَّ اهتمامه بالأمير بشير، وبالتالي لم يستطيعا السيطرة على الدروز طوال فترة الوجود المصري في الشام.

٥. أثبتت الدراسة أن الأمير بشير الشهابي كان باستطاعته السيطرة على الدروز، لولا أنهم انقلبوا عليه بعد أن تبيَّن لهم أنه يعمل على تحقيق سياسة محمد علي في الشام، وذلك منذ اللحظة الأولى التي تحركت فيها القوات المصرية إلى الشام. ولو أن الظروف كانت تقول بأن الدروز كانوا سيصبحون أكثر أمنًا وقوةً لو أنهم تكاتفوا مع الأمير بشير، لكنهم احتكموا للمنطق العشائري والأعراف في الثأر ممن كان سببًا في نهاية الشيخ بشير جنبلاط المأساوية، التي عُلِّق بها مشنوقًا على أسوار عكا، فأصبح شَبَحُه ماثلاً في أذهان الدروز، يذكرهم بما يعدونه خيانةً من الأمير بشير الشهابي، وبالتالي فإن الأمير كان محاصرًا بعقدةِ جنبلاط طوال فترة إمارته بين الدروز خارج سيطرة الشهابيين. لذا كان يحاربهم كأعداء، وهم ينظرون إليه عدوًا يجب الاقتصاص منه. وعطفًا على ذلك نقول بإن عداء الدروز لمحمد علي لم يكن كرهًا للحكم المصري بقدرِ ما كان يمثل داعمًا للشهابي الذي قضى على أهم حلفائه الدروز.

٦. القرارات التي اتخذها الأمير بشير خلال فترة الحكم المصري في الشام؛

أثبتت أنه ربط مصيره بمصير محمد علي المعادي للعثمانيين، وبالتالي كان يعي تمامًا أنه في حال فشل والي مصر في الشام؛ فإن ذلك يعني نهاية إمارته. ومما يبرز هذا الأمر جيدًا أنه كان دائم الاستجابة لإبراهيم باشا ووالده، وكان يجوب الشام بأرضها الواسعة في مساعدة الجيش المصري من الشمال إلى الجنوب ومن الغرب إلى الشرق من دون أي اعتراض أو تذمر. أيضًا هدوء الأمير بشير بعد أن خُيِّر بين البلاد لنفيه، لم يُبدِ أيَّ مقاومةٍ تذكر، لأنه كان يعي بأن انسحاب إبراهيم باشا يعني نهايته منذ اللحظة الأولى التي قرر فيها أن يكون عوناً للمصريين بزيارة محمد علي باشا.

٧. أثبت الدروز المعارضون للأمير بشير الثاني أن لديهم من القيَم العربية الأصيلة ما يجعلهم يتقبلون رحيل الأمير من دون إصابته بأذى قبل نفيه إلى مالطة، أيضًا لم يسعَوا إلى إنهاء الإمارة الشهابية انتقامًا من موقف بشير منهم، بل إنهم كانوا يرون بأن بشيرًا الثاني لم يمثل سوى نفسه بقراراته، وهذا لا يعني فرض العداء بينهم وبين الشهابيين من أتباع الأمير.

الهوامش:

١- سعيد: أمين، **تاريخ مصر السياسي من الحملة الفرنسية ١٧٩٨ إلى انهيار الملكية ١٩٥٢**، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م، ص ص ٩-٣٨.

٢- محمد علي بن إبراهيم أغا، ألباني الأصل، ولد في مدينة قولة اليونانية، انخرط في خدمة الجيش العثماني ، وعمل بالتجارة، وعند تجريد الحملة العثمانية لمصر ضمن جندية العمارة، وحين وصلت الحملة التي كان من ضمنها محمد علي باشا إلى أبي قير؛ ترك القائد الحملة وعاد، فانتقلت القيادة إلى محمد علي الذي ترقى لرتبة بكباشي، وقد أثبت حنكةً سياسية في إدارة فرقته العسكرية في مصر، وأقنع وجهاء مصر أن يتوسطوا لدى السلطان العثماني بتعيينه واليًا عليهم سنة ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م، واستمر في حكمه لمصر حتى نهاية عهده بعد أن استقل عن الدولة العثمانية بشكلٍ واضح سنة ١٢٦٤هـ/١٨٤٨م؛ (يانج: جورج، **تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل**، ترجمة: علي شكري، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص ص ٦١-٧٠).

٣- زيدان: جرجي، **تاريخ مصر الحديث مع فذلكة في تاريخ مصر القديم**، ج٢، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م، ص ص ١٤٨-١٥٢.

٤- الرجبي: خليل، **تاريخ الوزير محمد علي باشا**، تحقيق: دانيال كرسيليوس وآخرون، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص ص ٨٣-١١٥.

٥- الكركوكلي: رسول، **دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء**، ترجمة: موسى كاظم، دار الكاتب العربي، بيروت، ط١، (د.ت)، ص ص ٢٠٠-٢٠٩؛ عبدالرحيم: عبدالرحيم عبدالرحمن، **الدولة السعودية الأولى**، ج١، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ط٦، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص ص ٢٠٩-٢١٥.

٦- ابن عيسى: إبراهيم وعبدالله البسام، **مجموع في التاريخ النجدي**، خزانة التواريخ النجدية، جمع وترتيب وتصحيح عبدالله بن عبدالرحمن البسام، ج٧، (د.م)، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ص ٩٥-٩٧.

٧- والي دمشق خلال الفترة ١٢٢٢-١٢٢٥هـ/١٨٠٧-١٨١٠م، من أصل كردي، وقد كسب غضب السلطان العثماني نتيجة عدم تجريده حملة عسكرية على

الدولة السعودية الأولى، لذا أوعزت الدولة العثمانية لوالي صيدا سليمان باشا بقتله سنة ١٢٢٥هـ/١٨١٠م ويصادر أمواله، حيث إنه في الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية منشغلة بما يدور في الجزيرة العربية من أحداث؛ قام باختلاس الأموال من مرتبات الحج، كذلك أرهق الأهالي باعتداءاته وظلمه لهم، ولهذا السبب هرب كنج يوسف إلى محمد علي باشا في مصر؛ (علي: محمد كرد، **خطط الشام**، ج٣، مكتبة النوري، دمشق، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ٢٩).

٨- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (٤٩)، محفظة (١) بحر برا، رسالة من سليمان باشا والي صيدا إلى محمد علي باشا والي مصر بتاريخ ١٩ شعبان ١٢٢٥هـ الموافق ١٩ سبتمبر ١٨١٠م.

٩- والي صيدا خلال الفترة ١٢٢٠-١٢٣٤هـ/١٨٠٥-١٨١٩م، وتولى دمشق وعكا إضافةً إلى صيدا خلال الفترة ١٢٢٥-١٢٢٧هـ/١٨١٠-١٨١٢م، وهو أحد مماليك أحمد باشا الجزار، الذين كسبوا ثقة الدولة العثمانية خلال فترة حكمهم، إذ كان يعتمد على علاقاته الشخصية مع شيوخ القبائل والولاة المتحالفين معه، ولم يكن على علاقة حسنة مع والي دمشق كنج يوسف؛ (العورة: إبراهيم، **تاريخ ولاية سليمان باشا العادل**، مطبعة دير المخلص، صيدا، ط١، ١٩٣٦م، ص ص ٩-٥٠).

١٠- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (٤٥)، محفظة (١) عابدين، رسالة من محمد علي باشا والي مصر إلى الباب العالي في إسطنبول بتاريخ ١ رمضان ١٢٢٥هـ الموافق ٣٠ سبتمبر ١٨١٠م.

١١- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (٥١)، محفظة (١) عابدين، رسالة من محمد علي باشا والي مصر إلى الباب العالي في إسطنبول بتاريخ ٢٧ شوال ١٢٢٥هـ الموافق ٢٥ نوفمبر ١٨١٠م.

١٢- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (٢)، محفظة (٢) بحر برا، رسالة من محمد عارف أفندي إلى محمد علي باشا بتاريخ ٣ محرم ١٢٢٦هـ الموافق ٢٨ يناير ١٨١١م.

١٣- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (٦٩)، محفظة (١) عابدين، رسالة من محمد علي باشا والي مصر إلى الباب العالي في إسطنبول بتاريخ ١٩ رجب ١٢٢٦هـ الموافق ٩ أغسطس ١٨١١م.

١٤- سالم: لطيفة، **الحكم المصري في الشـــام ١٨٣١-١٨٤١م**، مكتبـــة مـــدبولي، القاهرة، ط٢، ١٤١٠هـــ/١٩٩٠م، ص ٢٠.

15- Barker: Edward, **Syria and Egypt under the last five Sultans ot Turkey**, vol: 2, Samuel Tinsley, London, First published, pp. 175-178.

١٦- عبد الله باشا الخزندار بن علي باشا أحد مماليك الجزار، تولي صيدا وعكا بعد وفاة سليمان باشا سنة ١٢٣٤هـــ/١٨١٩م، ولم تكن له علاقة جيدة بالباب العالي، ذلك أنه كان يعمل على إعادة توازن القوى في الشام لصالحه، حتى إنه كان يختم رسائله بوالي الشام؛ (علي: **خطط الشام**، ج٣، ص ص ٣٥-٣٦؛ زيدان: جرجي، **تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر**، ج١، دار كلمات، القاهرة، ط١، ٢٠١٢م، ص ص ٨٢-٨٣).

١٧- تولى دمشق سنة ١٢٣٥هـــ/١٨٢٠م، وكان على عداء منذ البداية مع والي صيدا وعكا عبدالله باشا، وكان مقربًا من الباب العالي؛ (علي: **خطط الشام**، ج٣، ص ص ٣٤-٣٥).

١٨- يُعدّ أحد أشهر أمراء الدروز في جبل لبنان ولـــد ١١٨١هـــــ/١٧٦٧م، وتـــولى إمارة الجبل سنة ١٢٠٢هـــ/١٧٨٨م حتى ١٢٦٦هـــ/١٨٥٠م، ويعـــد الأطـــول حكمًا بين أمراء الدروز في جبل لبنان، وكان له دور بارز وكبيـــر فـــي ســـير الأحداث السياسية في الشام خلال فترة إمارته؛ (زيدان: **تراجم مشاهير الشرق**، ج١، ص ص ٧٧-٧٩).

١٩- سالم: **الحكم المصري في الشام**، ص ص ٢٣-٢٤.

٢٠- يطلق الدروز على أنفسهم الموحدين، ويعدون أحد المذاهب التي شكَّلت طيفًا اجتماعيًّا دينيًّا في عددٍ من الدول العربية في الشام، ولهم تجمعات في بعض البلدان الآسيوية والأوربية والأمريكية، وللدروز مفهوم خاص بهم للعقيدة الإسلامية والشريعة، وقد انشقوا عن العقيدة الإسماعيلية، ويعيد أكثر المؤرخين تسميتهم بالدروز إلى محمد بن إسماعيل الدرزي، والدروز أنفسهم لا يرغبون نسبتهم إلى محمد بن إسماعيل، لذا يفضلون الموحدين وبني معروف، كناية عن حب المعروف والإحسان؛ (الصاري: عادل، **الموحدون الدروز وإشكالية الهوية**، مجلة أصول الدين بالجامعة الأسمرية الإسلامية، العدد (١)، ٢٠١٦م، ليبيا، ص ص ٢٤٧-٢٤٨).

٢١- منصور بن نزار بن معد بن إسماعيل بن محمد العبيدي الفاطمي، ولد سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥م، وتولى الخلافة الفاطمية صغيرًا وعمره ١١ عامًا سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م في مدينة بلبيس، وانتقل للقاهرة ودخلها ثاني أيام خلافته، وكان له خُطب في منابر مصر والشام والحجاز وشمال أفريقيا، له اهتمام بعلوم الفلسفة والفلك والنجوم، دعا الناس لتأليهه سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م في مساجد القاهرة، وبدأ بهذه الدعوة، حتى إنه يقال بأنه وضع سجلاً ليكتب فيه أسماء المؤمنين به، وسُجِّل في القاهرة في هذا السجل قرابة سبعة عشر ألفًا خوفًا من بطشه، وتلقب بعدها بالحاكم بأمره، وممن قام بدعوته محمد بن إسماعيل الدرزي وحسن بن حيدرة الفرغاني، ولم تقوَ دعوته إلا بعد أن أصبح حمزة بن أحمد أحد الدعاة سنة ٤٠٨هـ/١٠١٧م، لذا تُعد هذه السنة هي سنة الدعوة الحقيقية. وكان الحاكم غريب الأطوار، لذا سميَ مجنونًا، لأنه يأمر الناس بأشياء ثم يعاقبهم عليه، ويعلي مرتبة الوزير فيأمر بقتله، ويبني المدارس ويعيِّن عليها الفقهاء ثم يهدمها ويقتل الفقهاء، وكان مُسرفًا في القتل. وكانت نهايته بالاختفاء في ظروف غير واضحة، فيقال أنه قُتل من رجلٍ له غيرة على الإسلام، ويقال أيضًا أن أخته "ست الملك" أرسلت له من قتله، وبعد اختفائه؛ أعلن حمزة بن أحمد أنه احتجب في غيبته ليعود بعدها لنشر الإيمان، وتنسب له بعض الرسائل والسجلات الدرزية التي عُلِّق بعضها على المساجد، وكانت غيبته باغتياله سنة ٤١١هـ/١٠٢١هـ؛ (ابن إياس: محمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ج١، تحقيق: محمد مصطفى، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط٣، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص ص ١٩٧-٢١١؛ المقريزي: تقي الدين أحمد، **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، ج٢، تحقيق: محمد حلمي، لجنة إحياء التراث بوزارة الأوقاف، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص ص ٣-١١٦؛ ابن تغري بردي: يوسف، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ج٤، تقديم وتعليق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص ص ١٧٥-٢٤٦).

٢٢- يقع وادي التيم بين جبال البقاع والمنخفض الغربي من جبل الشيخ، ويشتهر الوادي بخصوبة أرضه وغزارة مياهه، وله قسمان: الأعلى راشيا، والأسفل حاصبيا، ويقال إنه الوادي الذي لجأ إليه مؤسس المذهب الدرزي، ويقال اسمه

درزي، غير أنه بحسب المعلومات التاريخية؛ فإن الأصح أن الذي لجأ إليه محمد بن إسماعيل الدرزي على الأغلب، والذي تنتسب إليه الطائفة الدرزية؛ (موستراس: س، **المعجم الجغرافي للإمبراطوية العثمانية**، ترجمة وتعليق: عصام محمد الشحادات، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ٢٧٧).

٢٣- يعتبر جبل الشيخ أحد أهم جبال لبنان الشرقية، ويقع في سوريا ولبنان، وهو أهم وأكبر وأعلى هذه الجبال، ويسمى أيضًا جبل الثلج، لأنه في الغالب مغطى بالثلج لارتفاعه، ومن جهة سوريا ضمن هضبة الجولان السورية، ويعد المنبع الأساسي لنهر الأردن، وسُمي بجبل الشيخ نسبة لرأس الثلج الأبيض في قمته، ويطل على لبنان وسوريا وفلسطين والأردن؛ (موستراس: **المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية**، ص ٢٧٧؛ أبوالعينين: حسن، **لبنان دراسة في الجغرافيا الطبيعية**، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٠م، ص ص ٣٩٨-٣٩٩؛ البلادي: عاتق، **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**، دار مكة، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ٧٧).

٢٤- ويسمى جبل حوران وجبل العرب أو جبل الدروز ويقع في جنوب سوريا، ويمتد على مجموعة من المدن والقرى؛ (الغزي: كامل، **نهر الذهب في تاريخ حلب**، ج٣، دار القلم، حلب، ط٢، ١٤١٩هـ، ص ٦٢٩).

٢٥- ذكر الحميري أنها جبل بالشام وأنها من أعمال دمشق، ومدينتها بصرى، تسير في صحراء حوران عشرة فراسخ في منازل ومزارع حتى تصل إلى مدينة بصرى، وهي مدينة حوران، وفي شرقي هذه المدينة بحيرة فيها تجتمع مياه دمشق وتسير منها في صحراء ورمال مقدار خمسة عشر فرسخاً فتدخل دمشق؛ (الحميري: محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م، ص ٢٠٦).

٢٦- أحد أكبر الجبال من أعمال حلب الغربيّة مشتمل على مدن عظيمة وقرى وقلاع، كلّها مساكن الدروز؛ (البغدادي: عبدالمؤمن، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، ج١، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ص ٣١١).

٢٧- سفح جبل في فلسطين بالقرب من حيفا، ويعد من الجبال الساحلية؛ (التطيلي: بنيامين، **رحلة بنيامين التطيلي**، المجمع الثقافي، أبوظبي، ط١، ٢٠٠٢م، ص ٢٤٠).

٢٨- أبوعز الدين: نجلاء، **الدروز في التاريخ**، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ص ٩.

٢٩- يدعوه الدروز بالأمير السيِّد وقدَّس الله سرَّه، ويُعدّ عامود نسب أمراء التنوخيين الذين يدَّعون نسبتهم إلى ملك الحيرة اللخمي المنذر بن ماء السماء، توفي جمال الدين سنة ٨٨٤هـ/١٤٧٩م، حكمت عائلته جنوبي لبنان قرابة أربعة قرون، ولم ينته حكمهم إلا بعد ضم الدولة العثمانية للمنطقة سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م؛ (المرجع السابق، ص ٢٢٨).

٣٠- فخر الدّين الثاني بن قرقماس بن فَخْر الدِّين الأول، من آل معن دروز الشوف في لبنان، ولد فيها وتولى إمارتها سنة ١٠١١هـ/١٦٠٢م، واستولى على صيدا وصفد وبيروت، وكان على عداء مع الدولة العثمانية، ونتيجة للضغط العثماني عليه هرب إلى إيطاليا سنة ١٠٢١هـ/١٦١٢م، وأقام فيها إلى سنة ١٠٢٦هـ/١٦١٧م بعد أن عفي عنه وعاد إلى إمارته، وامتد نفوذه إلى الأراضي الفلسطينية، وكانت له أطماع في الاستيلاء على حلب ودمشق والقدس سنة ١٠٣٦هـ/١٦٢٧م، لكن العثمانيين قبضوا عليه وحمل إلى إسطنبول سنة ١٠٤٣هـ/١٦٣٣م فسجن مدة مع اثنين من أولاده، وعفا عنه السلطان واستبقاه عنده حتى استشرت الوشاية عليه فأمر السلطان بقتله وولديه؛ فنفذوا أمره في ١٣ أبريل ١٦٣٥م. (الزركلي: خير الدين، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ج٥، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م، ص ص ١٣٧-١٣٨).

٣١- أبو عز الدين: **الدروز في التاريخ**، ص ص ٢٤٠-٢٧٢.

٣٢- يدعي الشهابيون نسبهم لقريش وخالد بن الوليد، وقد انتقلوا من أرضهم شهباء حوران إلى وادي التيم، لذا أُطلق عليهم الشهابيين؛ (نسيب: نكد، **الإمارة الشهابية والإقطاعيون الدروز**، تحقيق وتقديم: نائلة قائدبيه، دار النهار، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م، ص ص ٧٦-٧٧).

٣٣- يسمى بشير الأول الشهابي، وقد تولى إمارة الدروز بدلاً عن حيدر شهاب لصغر سنه، واستمر في حكمه حتى سنة ١١٢٠هـ/١٧٠٨م حيث قتل مسمومًا، ويقال بإن حيدر من دبر له دسَّ السُّم؛ (أوبنهايم: ماكس، **الدروز**، ترجمة: محمود كبيبو، دار الوراق، لندن، ط٢، ٢٠٠٩م، ص ص ٧٧-٧٨).

٣٤- تولى إمارة الدروز بعد بشير الأول سنة ١١٢٠هـ/١٧٠٨م، وفي عهده قضى على فتنة اليمنيين الذين كان يقودهم آل علم الدين، وانتصر عليهم في أشهر المعارك بين الدروز عين دارة سنة ١١٢٣هـ/١٧١١م؛ (بورون: **الدروز**، ترجمة: عادل تقي الدين، مطبعة القديس بولس، حريصا، ١٩٣٣م، ص ٩٣).

٣٥- عاد في عهده الازدهار للبنان وتحسنت علاقة الدروز في عهده مع ولاة دمشق وصيدا، كما خفَّض الضرائب عن الناس، وبعد مرضه سنة ١١٦٧هـ/١٧٥٤م تنازل عن الإمارة لابنه القاصر يوسف، وتولى الإمارة أخواه أحمد ومنصور، وتراجعت قوة إمارة الدروز في لبنان بعده بالتنازع؛ (أبو عز الدين: **الدروز في التاريخ**، ص ص ١٧٣-١٧٦).

٣٦- لم يكن يوسف على قدرٍ كبير من الحنكة السياسية، لذا زاد من فرض الضرائب على أتباعه، وتجاوز وتعدى على الناس، وانتهى حكمه سنة ١٢٠٢هـ/١٧٨٨م؛ (المرجع نفسه، ص ٢٧٨).

٣٧- بشير بن قاسم بن علي بن رباح بن جنبلاط، وكان وفيًّا للأمير بشير الثاني، حتى إنه يقال كان يسجن معه إذا سُجن، يُشرد معه إذا شُرِّد، كما أن الجنبلاطيين عانوا الأمرين لولائهم للشهابي، حيث نُهبت دورهم وشُردوا، لذا كان بشير جنبلاط من المقربين للشهابي، وأبرز رجال مشورته، لذا يقول عنه بوركهات: "يعتبر الجنبلاطيون شيوخ الجبل بحق، ولهم اليد الطولى في كل الأمور وشيخهم الشيخ بشير جنبلاط هو الملك غير المتوج للجبل... ولا يستطيع الأمير بشير الشهابي القيام بأي نشاط دون موافقة الشيخ بشير وهو مجبر على تقاسم ما يحصل عليه من سكان الجبل معه"، وظلَّ الشيخ بشير جنبلاط على هذه الحال، حتى ضاق الأمير الشهابي منه، وتغيرت علاقتهما، وانتهى أمر الشيخ بقتله على يد والي عكا سنة ١٢٤٠هـ/١٨٢٥م؛ (الباشا: محمد، **معجم أعلام الدروز في لبنان**، ج١، الدار التقدمية، الشوف (لبنان)، ط٢، ٢٠١٠م، ص ص ٣٢٥-٣٣٣؛ بوركهارت: جون لويس، **رحلات في الديار المقدسة والنوبة والحجاز**،

ج١، ترجمة: فيصل أبوغوش، وزارة الثقافة في المملكة الأردنية الهاشمية، عمَّان، ط١، ١٩٩٣م، ص ص ١٤٢-١٤٣).

٣٨- زيدان: **تراجم مشاهير الشرق**، ج١، ص ص ٧٧-٨٠.

٣٩- لم يستطع الفرنسيون محاصرة عكا سوى شهرين، إذ إن الإنجليز كانوا لهم بالمرصاد، والسفن التي كانت تأتي لنجدة الفرنسيين يتم الاستيلاء عليها من قبل الإنجليز، ومن ثم يدافعون بها عن عكا، ما اضطر الفرنسيين إلى الانسحاب من سوريا؛ (مواريه: جوزيف، **مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية على مصر**، ترجمة: كاميليا صبحي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م، ص ص ٩٥-٩٨).

٤٠- زيدان: **تراجم مشاهير الشرق**، ج١، ص ص ٨١-٨٢.

٤١- المرجع نفسه، ص ص ٨٢-٨٤.

٤٢- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (٥٤)، محفظة (٨) بحر برا، رسالة من عبدالله باشا والي عكا إلى محمد علي باشا والي مصر بتاريخ ١٨ ذي القعدة ١٢٣٧هـ الموافق ١ يونيو ١٨٢١م.

٤٣- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (١٢٦)، محفظة (٢٢) معية تركي، رسالة من محمد علي باشا والي مصر إلى عبدالله باشا والي عكا بتاريخ ٢٤ شوال ١٢٤٠هـ الموافق ١١ يونيو ١٨٢٥م.

٤٤- الابن الأكبر لمحمد علي باشا، ولد في قولة سنة ١٢٠٣هـ/١٧٨٩م، وجاء إلى مصر برفقة أخيه طوسون باشا سنة ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م، وعركه والده في الأعمال والمهام منذ قدومه إلى مصر، ما بين مهام إدارية وعسكرية، وكانت أول أعماله العسكرية في حرب المماليك وطردهم إلى النوبة، وكانت أبرز جهوده العسكرية في إسقاط الدولة السعودية الأولى سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٨م، كذلك قياده لجيش محمد علي في اليونان، واستيلائه على الشام، وعاش حتى عينه والده نائبًا له سنة ١٢٦٤هـ/١٨٤٨م، لكنه توفي في السنة نفسها، بعد أن أصيب بمرضٍ عقلي ولم يكن صالحًا للولاية؛ (زكي: عبدالرحمن، **إبراهيم باشا ١٧٨٩-١٨٤٨م**، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٨م، ص ص ٦-٧).

٤٥- روجان: يوجين، **العرب من الفتوحات العثمانية إلى الحاضر**، ترجمة: محمد الجندي، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١١م، ص ١٠٣.

٤٦- سالم: **الحكم المصري في الشام**، ص ص ٢٦-٢٧.

٤٧- ظلّت الدولة العثمانية منذ تأسيسها تُفاخر بجيشها الانكشاري وقوته التي لا تُقهر، ومع تعاظم هذه القوة العسكرية؛ قاسم قادة الانكشارية السلطة بشكلٍ غير علني مع السلاطين، وأصبحت إرادتهم مصدر خوف مستمر، وفي عهد محمود الثاني (١٢٢٣-١٢٥٥هـ/١٨٠٨-١٨٣٩م) انقلب على تنظيم الانكشارية، وعلى الرغم من أن هذا الإجراء عُدَّ في صالح العثمانيين؛ إلا أنه ساهم في ضياع هوية الدولة وضعف قوتها العسكرية، لأن الجيش الجديد الذي أنشأه محمود الثاني لم يكن ليأخذ وقته في التشكُّل حتى يرث الانكشارية؛

48- (Erickson: Edward and Mesut Uyar, **A miltary history of the Ottomans from Osman to Ataturk**, Praeger Security International, California, First published, 2009, pp. 125-128).

٤٩- السياسة العثمانية التي انتُهجت في حكم الولايات والأقطار التابعة لها كانت من خلال الحكم غير المباشر، حيث تدير كل ولاية نفسها من خلال الوالي المُعيَّن من قبل السلطان، وقد ظهر هذا الخطر في سياسة الدولة تجاه الولايات في أوقاتٍ عدَّة، لكنه ظهر بشكلٍ جليٍّ مع بدايات القرن الثاني عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي في العراق والشام، ومع تولي محمد علي شؤون مصر؛ (بيهم: محمد، **فلسفة التاريخ العثماني أسباب انحطاط الإمبراطورية العثمانية وزوالها**، فرج الله للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م، ص ٤٥).

٥٠- رافق: عبدالكريم، **العرب والعثمانيون ١٥١٦-١٩١٦م**، (د.ن)، دمشق، ط١، ١٩٧٤م، ص ص ٢٦٢-٢٦٣.

٥١- وكان ذلك بلجوء الشيخ علي العمادي سنة ١٢٣٤هـ/١٨١٩م لمحمد علي لينصره ضد الأمير بشير الثاني؛ (نسيب: **الإمارة الشهابية والإقطاعيون الدروز**، ص ١٧٨).

٥٢- أبو عزالدين: **الدروز في التاريخ**، ص ٢٩١.

٥٣- ثار اليونانيون على العثمانيين ابتداءً من سنة ١٢٣٥هـ/١٨٢٠م، ولم يتمكنوا في البداية تحقيق طموحاتهم بفشل الثورة، لكن اليونان لم تهدأ وثارت من جديد، وحرَّك هذه الثورة المطران باتراس سنة ١٢٣٦هـ/١٨٢١م، وجمع حوله

زعماء الجمعيات السريَّة، ما شجَّع البحَّارة اليونانيون على الهجوم على الجُزر العثمانية القريبة منهم، وبعد قتالٍ عنيف، هُزم الجيش العثماني بقيادة خورشيد باشا في معركة الترومبيل سنة ١٢٣٧هـ/١٨٢٢م، وعلى إثر ذلك انتحر خورشيد باشا بعد هزيمته؛ (برجاوي: سعيد، **الإمبراطورية العثمانية: تاريخها السياسي والعسكري**، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ص ص ٢١٢-٢١٣).

٥٤- الصليبي: كمال، **تاريخ لبنان الحديث**، دار النهار للنشر، بيروت، ط٤، ١٩٧٨م، ص ص ٥٦-٥٨.

٥٥- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (٢٥٢)، محفظة (٤) معية تركي، رسالة من محمد علي باشا والي مصر إلى عبدالله باشا والي عكا بتاريخ ٢٢ صفر ١٢٣٩هـ الموافق ٢٨ أكتوبر ١٨٢٣م.

٥٦- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (٢٢٢)، محفظة (١٤) معية تركي، رسالة من محمد علي باشا والي مصر إلى عبدالله باشا والي عكا بتاريخ ٩ رجب ١٢٣٩هـ الموافق ١٠ مارس ١٨٢٤م.

٥٧- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (٣٢٤)، محفظة (١٤) معية تركي، رسالة من محمد علي باشا والي مصر إلى الأمير بشير الثاني الشهابي بتاريخ ٩ رجب ١٢٣٩هـ الموافق ١٠ مارس ١٨٢٤م.

٥٨- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (٤٦)، محفظة (٢٢) معية تركي، رسالة من محمد علي باشا والي مصر إلى عبدالله باشا والي عكا بتاريخ ١٧ جمادى الآخرة ١٢٤٠هـ الموافق ٦ فبراير ١٨٢٥م.

٥٩- الغنَّام: سليمان، **سياسة محمد علي باشا التوسعية في الجزيرة العربية والسودان واليونان وسوريا ١٨١١-١٨٤٠م**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ص ص ٨٩-٩٥.

٦٠- زيدان: **تراجم مشاهير الشرق**، ج١، ص ٨٤.

٦١- أبو عزالدين: **الدروز في التاريخ**، ص ٢٩٤.

٦٢- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (١٤٢)، محفظة (٢) عابدين، رسالة من محمد علي باشا والي مصر إلى عبدالله باشا والي عكا بتاريخ ٢٧ رمضان ١٢٤٢هـ الموافق ٢٤ أبريل ١٨٢٧م.

٦٣- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (٧٦)، محفظة (٣١) معية تركي، رسالة من محمد علي باشا والي مصر إلى قبوكتخدا بتاريخ ٢٦ جمادى الآخرة ١٢٤٣هـ الموافق ٢٤ يناير ١٨٢٨م.

٦٤- حسون: علي، **العثمانيون والروس**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ١٠١.

٦٥- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (٧٦)، محفظة (٣١) معية تركي، رسالة من أحمد خلوصي باشا إلى عبدالله باشا والي عكا وصيدا بتاريخ ٢ رجب ١٢٤٤هـ الموافق ٨ يناير ١٨٢٩م.

٦٦- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (٢٢)، محفظة (١٣) بحر برا، رسالة من أحمد خلوصي باشا إلى محمد علي باشا والي مصر وصيدا بتاريخ ٣ رجب ١٢٤٤هـ الموافق ٩ يناير ١٨٢٩م.

٦٧- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (٣٣٢)، محفظة (٤٠) معية تركي، رسالة من محمد علي باشا إلى عبدالله باشا والي عكا وصيدا بتاريخ ٢٧ رمضان ١٢٤٥هـ الموافق ٢٢ مارس ١٨٣٠م.

٦٨- سالم: **الحكم المصري في الشام**، ص ص ٣٦-٣٧.

٦٩- زيدان: **تراجم مشاهير الشرق**، ج١، ص ٨٤.

٧٠- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (١٣٠)، محفظة (٤١) معية تركي، رسالة من محمد علي باشا إلى عبدالله باشا والي عكا وصيدا بتاريخ ١٤ رمضان ١٢٤٦هـ الموافق ٢٦ فبراير ١٨٣١م.

٧١- زيدان: **تراجم مشاهير الشرق**، ج١، ص ٨٤.

٧٢- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (٥٧٦)، محفظة (٤٢) معية تركي، رسالة من محمد علي باشا إلى خليل بك والي دمياط بتاريخ ١١ ذي الحجة ١٢٤٦هـ الموافق ٢٣ مايو ١٨٣١م.

٧٣- بلال: هدى، **الصراع العثماني المصري على بلاد الشام والموقف الدولي منه ١٨٣٠-١٨٤١م**، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، مجلد (١٠)، العدد (٤)، ص ٣٤٥.

٧٤- زيدان: **تراجم مشاهير الشرق**، ج١، ص ٨٥.

٧٥- رستم: أسد، **الأصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا**، ج١، منشورات كلية العلوم والآداب، الجامعة الأميركية، بيروت، ط١، ١٩٢٩م، ص ٣٣.

٧٦- الشدياق: طنوس، **كتاب أخبار الأعيان في جبل لبنان**، ج٢، قدَّمه وفهرسه: فؤاد البستاني، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ط١، ١٩٦٩م، ص ٤٤٣.

٧٧- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (٢٣١)، محفظة (٣٤) عابدين، رسالة من يوحنا البحري إلى الباشمعاون بتاريخ ٢٧ جمادى الآخرة ١٢٤٧هـ الموافق ٣ ديسمبر ١٨٣١م.

٧٨- تم إرساله إلى الإسكندرية ليمثل أمام محمد علي في مصر؛ (**دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (١٤٢)، محفظة (٣٣٤) عابدين، رسالة من إبراهيم باشا إلى محمد علي باشا بتاريخ ٢٩ ذي الحجة ١٢٤٧هـ الموافق ٣٠ مايو ١٨٣٢م).

٧٩- رستم: أسد، **الأوراق العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا**، المطبعة الأدبية، بيروت، ط١، ١٩٢٨م، ص ٥.

٨٠- رستم: **الأصول العربية**، ج٢، ص ٥.

٨١- سالم: **الحكم المصري في الشام**، ص ص ٤٢-٤٣.

٨٢- المرجع نفسه، ص ٦٧.

٨٣- رستم: أسد، **إدارة الشام روحها وهيكلها وأثرها**، الجمعية الملكية للدراسات التاريخية ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا بمناسبة انقضاء مائة على وفاته، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص ١٠٨.

٨٤- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (١٤٢)، محفظة (٣٣٤) عابدين، رسالة من إبراهيم باشا إلى محمد علي باشا بتاريخ ٨ محرم ١٢٥١هـ الموافق ٦ مايو ١٨٣٥م.

٨٥- الصليبي: **تاريخ لبنان الحديث**، ص ص ٦٢-٦٣.

٨٦- الشدياق: **كتاب أخبار الأعيان في جبل لبنان**، ج٢، ص ٤٤٨.

٨٧- مشاقة: ميخائيل، **مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان**، (د.ن)، القاهرة، ط١، ١٩٠٨م، ص ١٠٧.

٨٨- هم أتباع المذهب النصيري، وهو أحد المذاهب التي انشقت عن الاثني عشرية الشيعية، وقد اختلفوا مع الاثني عشرية حين ادعوا أن الإمام الثاني عشر محمد

بن الحسن العسكري لم يكن له باب، بل استمر الباب للإمام الحادي عشر- الحسن العسكري- أبو شعيب محمد بن نصير، وبعد هذا الخِلاف أصبحت كتب الشيعة تُكفِّر النصيرية، وترتكز مواقعهم في بلاد الشام، خاصةً سوريا؛ (عواجي: غالب، **فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها**، ج٢، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة، ط٤، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص ص ٥٤٦-٥٤٧؛ القفاري: ناصر، **أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية: عرض ونقد** -، ج٣، (د.ن)، (د.م)، ط١، ١٤١٤هـ، ص ٩٧٨).

٨٩- المبير المُهْلِكُ وهو الذي يُسْرِفُ في إهلاك الناس . (ينظر ب.و.ر لسان العرب).

٩٠- علي: **خطط الشام**، ج٣، ص ٥٨.

٩١- الصليبي: **تاريخ لبنان الحديث**، ص ٦٢.

٩٢- مشاقة: **مشهد العيان**، ص ١١٣.

٩٣- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (٥١)، محفظة (٢١٢) عابدين، رسالة من محمد علي باشا إلى إبراهيم باشا بتاريخ ٩ صفر ١٢٥١هـ الموافق ٦ يونيو ١٨٣٥م.

٩٤- الصليبي: **تاريخ لبنان الحديث**، ص ٦٣.

٩٥- زكي: عبدالرحمن، **حملة الشام الأولى والثانية ١٨٣١-١٨٣٩**، الجمعية الملكية للدراسات التاريخية، ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا بمناسبة انقضاء مائة على على وفاته، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص ٢٩٩.

٩٦- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (٧٦)، محفظة (٢١٢) عابدين، رسالة من محمد علي باشا إلى إبراهيم باشا بتاريخ ١٨ صفر ١٢٥١هـ الموافق ١٥ يونيو ١٨٣٥م.

٩٧- الصليبي: **تاريخ لبنان الحديث**، ص ٦٤.

٩٨- أحد أقضية جبل لبنان، يحدها من الشمال قرية عالية ومن الشرق البقاع الغربي والجنوب صيدا، ومركز الشوف مدينة بيت الدين عاصمة إمارة جبل لبنان؛ (علي: **خطط الشام**، ج٣، ص ٢٣١).

٩٩- مشاقة: **مشهد العيان**، ص ١١٦.

١٠٠- في وادي التيم وهو أهم مراكز الدروز ودعوتهم منذ القِدم؛ (أبو مصلح: كمال، **معجم العربي المستعجم من أسماء المدن والقرى والأماكن في الجمهورية اللبنانية**، الدار التقدمية، الشوف، ط٢، ٢٠١١م، ص ٢٢٤).

١٠١- أحد المواقع في وادي التيم، وسميَت حاصبيا نسبة للحَصَب أي الحجارة الصغيرة في أرضها، وهو قريب من سفح الجولان الغربي؛ (المرجع السابق، ص ١٧٤).

١٠٢- مشاقة: **مشهد العيان**، ص ص ١١٩-١٢٠.

١٠٣- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (٤٨)، محفظة (٢٥٣) عابدين، رسالة من إبراهيم باشا إلى سامي بك بتاريخ ٢٨ محرم ١٢٥٢هـ الموافق ١٥ مايو ١٨٣٦م.

١٠٤- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (٣٩٤)، محفظة (٢٥٤) عابدين، رسالة من إبراهيم باشا إلى سامي بك بتاريخ ٢ ذي الحجة ١٢٥٢هـ الموافق ١٠ مارس ١٨٣٧م.

١٠٥- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (٣٨٣)، محفظة (٢٥٥) عابدين، رسالة من محمد شريف باشا إلى إبراهيم باشا بتاريخ ١٨ شوال ١٢٥٣هـ الموافق ١٥ يناير ١٨٣٨م.

١٠٦- زيدان: **تراجم مشاهير الشرق**، ج١، ص ٨٦.

١٠٧- الجميعي: عبدالمنعم، **ثورات الدروز والموارنة ضد حكم محمد علي في جبل لبنان ١٨٣٥-١٨٤٠م**، (د.ن)، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م، ص ١٦.

١٠٨- علي: محمد كرد، **الحكومة المصرية في الشام**، المطبعة السلفية القاهرة، ط١، ١٣٤٣هـ، ص ص ٢٧-٣٥.

١٠٩- بركات: داود، **البطل الفاتح إبراهيم وفتحه الشام ١٨٣٢م**، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م، ص ١٣٧.

١١٠- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (٢٣٨)، محفظة (٢٥٥) عابدين، رسالة من إبراهيم باشا إلى محمد علي باشا بتاريخ ٢٣ ذي القعدة ١٢٥٣هـ الموافق ١٨ فبراير ١٨٣٨م.

١١١- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (٣٣٤)، محفظة (٢٥٥) عابدين، رسالة من يوحنا بحري بك إلى إبراهيم باشا بتاريخ ٢٦ ذي القعدة ١٢٥٣هـ الموافق ٢١ فبراير ١٨٣٨م.

١١٢- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (٣٣٦)، محفظة (٢٥٥) عابدين، رسالة من يوحنا بحري بك إلى محمد علي باشا بتاريخ ٢٧ ذي القعدة ١٢٥٣هـ الموافق ٢٢ فبراير ١٨٣٨م.

١١٣- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (٣٣٨)، محفظة (٢٥٥) عابدين، رسالة من محمد شريف باشا إلى إبراهيم باشا بتاريخ ٢٩ ذي القعدة ١٢٥٣هـ الموافق ٢٤ فبراير ١٨٣٨م.

١١٤- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (٣٤٦)، محفظة (٢٥٥) عابدين، رسالة من إبراهيم باشا إلى محمد شريف باشا بتاريخ ٣ ذي الحجة ١٢٥٣هـ الموافق ٢٨ فبراير ١٨٣٨م.

١١٥- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (٣٤٥)، محفظة (٢٥٥) عابدين، رسالة من محمد شريف باشا إلى سامي بك بتاريخ ٣ ذي الحجة ١٢٥٣هـ الموافق ٢٨ فبراير ١٨٣٨م.

١١٦- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (١٩٣)، محفظة (٢١٤) عابدين، رسالة من محمد علي باشا إلى إبراهيم باشا بتاريخ ٩ ذي الحجة ١٢٥٣هـ الموافق ٦ مارس ١٨٣٨م.

١١٧- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (٣٥٩)، محفظة (٢١٤) عابدين، رسالة من إبراهيم باشا إلى محمد علي باشا بتاريخ ١٥ ذي الحجة ١٢٥٣هـ الموافق ١٢ مارس ١٨٣٨م.

١١٨- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (٣٦٠)، محفظة (٢٥٥) عابدين، رسالة من إبراهيم باشا إلى سامي بك بتاريخ ١٥ ذي الحجة ١٢٥٣هـ الموافق ١٢ مارس ١٨٣٨م.

١١٩- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (٤)، محفظة (٢٥٦) عابدين، رسالة من يوحنا بحري بك إلى إبراهيم باشا بتاريخ ٥ محرم ١٢٥٤هـ الموافق ٣١ مارس ١٨٣٨م.

١٢٠- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (٦٧)، محفظة (٢٥٦) عابدين، رسالة من محافظ بيروت محمود بك إلى حسين باشا بتاريخ ١٥ ربيع الآخر ١٢٥٤هـ الموافق ٨ يوليو ١٨٣٨م.

١٢١- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (٢١٩)، محفظة (٢١٤) عابدين، رسالة من محمد علي باشا إلى إبراهيم باشا بتاريخ ١٨ جمادى الآخرة ١٢٥٤هـ الموافق ٩ أغسطس ١٨٣٨م.

١٢٢- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (١٥٩)، محفظة (٢٥٦) عابدين، رسالة من إبراهيم باشا إلى حسين باشا بتاريخ ٢٩ جمادى الآخرة ١٢٥٤هـ الموافق ١٩ سبتمبر ١٨٣٨م.

١٢٣- مشاقة: **مشهد العيان**، ص ص ١٢٣-١٢٥.

١٢٤- كتافاكو: أنطوان، **إبراهيم باشا المصري في فلسطين ولبنان وسوريا**، ترجمة: الخوري بولس، مطبعة القديس بولس، حريصا، ط١، ١٩٣٧م، ص ص ٧١-٧٢.

١٢٥- علي: **خطط الشام**، ج٣، ص ٦٥.

١٢٦- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (١٧٥)، محفظة (٢٥٧) عابدين، رسالة من إبراهيم باشا إلى حسين باشا بتاريخ ٧ جمادى الأولى ١٢٥٥هـ الموافق ١٩ يوليو ١٨٣٩م.

١٢٧- **دار الوثائق القومية في القاهرة:** وثيقة رقم (١٤)، محفظة (٢٥٨) عابدين، رسالة من يوسف بك شريف إلى إبراهيم باشا بتاريخ ٦ جمادى الأخرة ١٢٥٥هـ الموافق ١٧ أغسطس ١٨٣٩م.

١٢٨- كانت هذه المعاهدة من أهم المعاهدات السياسية خلال القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، حيث إنها أعادت توازن القوى السياسية بعد أن اختلت في الشرق الأوسط بين الكيانات السياسية المحلية، ونصَّت هذه المعاهدة صراحةً على انسحاب محمد علي باشا من الشام، فيما أعطته الحق في ملك مصر وأحفاده من بعده، وإعادة السلطة العثمانية على الشام من جديد؛ (أبوعزالدين: إسماعيل، **إبراهيم باشا في سوريا**، المطبعة العلمية، بيروت، ط١، ١٩٢٩م، ص ٢٥٢).

١٢٩- علي: **خطط الشام**، ج٣، ص ٦٦.

١٣٠- مشاقة: **مشهد العيان**، ص ص ١٣٠-١٣٣.

المراجع والوثائق

أولاً: الوثائق (دار الوثائق القومية في القاهرة):

أ) وثائق عابدين:

- رقم (٤٥)، محفظة (١)، ١ رمضان ١٢٢٥هـ الموافق ٣٠ سبتمبر ١٨١٠م.
- رقم (٥١)، محفظة (١)، ٢٧ شوال ١٢٢٥هـ الموافق ٢٥ نوفمبر ١٨١٠م.
- رقم (٦٩)، محفظة (١)، ١٩ رجب ١٢٢٦هـ الموافق ٩ أغسطس ١٨١١م.
- رقم (١٤٢)، محفظة (٢)، ٢٧ رمضان ١٢٤٢هـ الموافق ٢٤ أبريل ١٨٢٧م.
- رقم (٢٣١)، محفظة (٣٤)، ٢٧ جمادى الآخرة ١٢٤٧هـ الموافق ٣ ديسمبر ١٨٣١م.
- رقم (١٤٢)، محفظة (٣٣٤)، ٢٩ ذي الحجة ١٢٤٧هـ الموافق ٣٠ مايو ١٨٣٢م).
- رقم (١٤٢)، محفظة (٣٣٤)، ٨ محرم ١٢٥١هـ الموافق ٦ مايو ١٨٣٥م.
- رقم (٥١)، محفظة (٢١٢)، ٩ صفر ١٢٥١هـ الموافق ٦ يونيو ١٨٣٥م.
- رقم (٧٦)، محفظة (٢١٢)، ١٨ صفر ١٢٥١هـ الموافق ١٥ يونيو ١٨٣٥م.
- رقم (٤٨)، محفظة (٢٥٣)، ٢٨ محرم ١٢٥٢هـ الموافق ١٥ مايو ١٨٣٦م.
- رقم (٣٩٤)، محفظة (٢٥٤)، ٢ ذي الحجة ١٢٥٢هـ الموافق ١٠ مارس ١٨٣٧م.
- رقم (٣٨٣)، محفظة (٢٥٥) ، ١٨ شوال ١٢٥٣هـ الموافق ١٥ يناير ١٨٣٨م.

- رقم (٢٣٨)، محفظة (٢٥٥) ، ٢٣ ذي القعدة ١٢٥٣هـ الموافق ١٨ فبراير ١٨٣٨م.
- رقم (٣٣٤)، محفظة (٢٥٥) ، ٢٦ ذي القعدة ١٢٥٣هـ الموافق ٢١ فبراير ١٨٣٨م.
- رقم (٣٣٦)، محفظة (٢٥٥)، ٢٧ ذي القعدة ١٢٥٣هـ الموافق ٢٢ فبراير ١٨٣٨م.
- رقم (٣٣٨)، محفظة (٢٥٥)، ٢٩ ذي القعدة ١٢٥٣هـ الموافق ٢٤ فبراير ١٨٣٨م.
- رقم (٣٤٦)، محفظة (٢٥٥)، ٣ ذي الحجة ١٢٥٣هـ الموافق ٢٨ فبراير ١٨٣٨م.
- رقم (٣٤٥)، محفظة (٢٥٥) ، ٣ ذي الحجة ١٢٥٣هـ الموافق ٢٨ فبراير ١٨٣٨م.
- رقم (١٩٣)، محفظة (٢١٤) ، ٩ ذي الحجة ١٢٥٣هـ الموافق ٦ مارس ١٨٣٨م.
- رقم (٣٥٩)، محفظة (٢١٤)، ١٥ ذي الحجة ١٢٥٣هـ الموافق ١٢ مارس ١٨٣٨م.
- رقم (٣٦٠)، محفظة (٢٥٥)، ١٥ ذي الحجة ١٢٥٣هـ الموافق ١٢ مارس ١٨٣٨م.
- رقم (٤)، محفظة (٢٥٦)، ٥ محرم ١٢٥٤هـ الموافق ٣١ مارس ١٨٣٨م.
- رقم (٦٧)، محفظة (٢٥٦)، ١٥ ربيع الآخر ١٢٥٤هـ الموافق ٨ يوليو ١٨٣٨م.
- رقم (٢١٩)، محفظة (٢١٤)، ١٨ جمادى الآخرة ١٢٥٤هـ الموافق ٩ أغسطس ١٨٣٨م.
- رقم (١٥٩)، محفظة (٢٥٦)، ٢٩ جمادى الآخرة ١٢٥٤هـ الموافق ١٩ سبتمبر ١٨٣٨م.

- رقم (١٧٥)، محفظة (٢٥٧)، ٧ جمادى الأولى ١٢٥٥هـ الموافق ١٩ يوليو ١٨٣٩م.
- رقم (١٤)، محفظة (٢٥٨)، ٦ جمادى الأخرة ١٢٥٥هـ الموافق ١٧ أغسطس ١٨٣٩م.
- **وثائق بحر برا:**
- رقم (٤٩)، محفظة (١)، ١٩ شعبان ١٢٢٥هـ الموافق ١٩ سبتمبر ١٨١٠م.
- رقم (٢)، محفظة (٢)، ٣ محرم ١٢٢٦هـ الموافق ٢٨ يناير ١٨١١م.
- رقم (٥٤)، محفظة (٨)، ١٨ ذي القعدة ١٢٣٧هـ الموافق ١ يونيو ١٨٢١م.
- **وثائق معية تركي:**
- رقم (٢٥٢)، محفظة (٤)، ٢٢ صفر ١٢٣٩هـ الموافق ٢٨ أكتوبر ١٨٢٣م.
- رقم (٢٢٢)، محفظة (١٤)، ٩ رجب ١٢٣٩هـ الموافق ١٠ مارس ١٨٢٤م.
- رقم (٣٢٤)، محفظة (١٤)، ٩ رجب ١٢٣٩هـ الموافق ١٠ مارس ١٨٢٤م.
- رقم (٤٦)، محفظة (٢٢)، ١٧ جمادى الآخرة ١٢٤٠هـ الموافق ٦ فبراير ١٨٢٥م.
- رقم (١٢٦)، محفظة (٢٢)، ٢٤ شوال ١٢٤٠هـ الموافق ١١ يونيو ١٨٢٥م.
- رقم (٧٦)، محفظة (٣١)، ٢٦ جمادى الآخرة ١٢٤٣هـ الموافق ٢٤ يناير ١٨٢٨م.
- رقم (٧٦)، محفظة (٣١)، ٢ رجب ١٢٤٤هـ الموافق ٨ يناير ١٨٢٩م.
- رقم (٢٢)، محفظة (١٣)، ٣ رجب ١٢٤٤هـ الموافق ٩ يناير ١٨٢٩م.
- رقم (٣٣٢)، محفظة (٤٠)، ٢٧ رمضان ١٢٤٥هـ الموافق ٢٢ مارس ١٨٣٠م.

- رقم (١٣٠)، محفظة (٤١)، ١٤ رمضان ١٢٤٦هـ الموافق ٢٦ فبراير ١٨٣١م.
- رقم (٥٧٦)، محفظة (٤٢) ، ١١ ذي الحجة ١٢٤٦هـ الموافق ٢٣ مايو ١٨٣١م.

ثانيًا: المؤلفات والبحوث العربية:

- ابن إياس: محمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تحقيق: محمد مصطفى، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط٣، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- الباشا: محمد، **معجم أعلام الدروز في لبنان**، الدار التقدمية، الشوف (لبنان)، ط٢، ٢٠١٠م.
- بدر: مصطفى، **محنة الإسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدي المغول**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٩م.
- برجاوي: سعيد، **الإمبراطورية العثمانية: تاريخها السياسي والعسكري**، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- بركات: داود، **البطل الفاتح إبراهيم وفتحه الشام ١٨٣٢م**، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م.
- البغدادي: عبدالمؤمن، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
- البلادي: عاتق، **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**، دار مكة، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- بلال: هدى، **الصراع العثماني المصري على بلاد الشام والموقف الدولي منه ١٨٣٠-١٨٤١م**، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، مجلد (١٠)، العدد (٤).
- بيهم: محمد، **فلسفة التاريخ العثماني: أسباب انحطاط الإمبراطورية العثمانية وزوالها**، فرج الله للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

- التطيلي: بنيامين، **رحلة بنيامين التطيلي**، المجمع الثقافي، أبوظبي، ط١، ٢٠٠٢م.
- ابن تغري بردي: يوسف، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تقديم وتعليق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- الجميعي: عبدالمنعم، **ثورات الدروز والموارنة ضد حكم محمد علي في جبل لبنان ١٨٣٥-١٨٤٠م**، (د.ن)، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م.
- حسون: علي، **العثمانيون والروس**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- الحموي: ياقوت، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
- الحميري: محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.
- أبوخليل: شوقي، **تشالديران**، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- الدوسري: نورة، **خدم دار الخلافة ودورهم السياسي والحضاري في العصر العباسي الأول ٢٣٢-٦٥٦هـ/٩٤٣-١٢٥٨م**، رسالة ماجستير، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات العليا، جامعة أم القرى، إشراف: لمياء شافعي، مكة المكرمة، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.
- رافق: عبدالكريم، **العرب والعثمانيون ١٥١٦-١٩١٦م**، (د.ن)، دمشق، ط١، ١٩٧٤م.
- الرجبي: خليل، **تاريخ الوزير محمد علي باشا**، تحقيق: دانيال كرسيليوس وآخرون، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- رستم: أسد، **إدارة الشام: روحها وهيكلها وأثرها**، الجمعية الملكية للدراسات التاريخية ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا بمناسبة انقضاء مائة على على وفاته، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

- ـــــــــــــــ، **الأصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا**، منشورات كلية العلوم والآداب، الجامعة الأميركية، بيروت، ط١، ١٩٢٩م.
- ـــــــــــــــ، **الأوراق العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا**، المطبعة الأدبية، بيروت، ط١، ١٩٢٨م.
- الزركلي: خير الدين، **الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.
- زكي: عبدالرحمن، **إبراهيم باشا ١٧٨٩-١٨٤٨م**، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٨م.
- ـــــــــــــــ، **حملة الشام الأولى والثانية ١٨٣١-١٨٣٩**، الجمعية الملكية للدراسات التاريخية ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا بمناسبة انقضاء مائة على على وفاته، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- زيدان: جرجي، **تاريخ مصر الحديث مع فذلكة في تاريخ مصر القديم**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م.
- ـــــــــــــــ، **تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر**، دار كلمات، القاهرة، ط١، ٢٠١٢م.
- سالم: لطيفة، **الحكم المصري في الشام ١٨٣١-١٨٤١م**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- سعيد: أمين، **تاريخ مصر السياسي من الحملة الفرنسية ١٧٩٨ إلى انهيار الملكية ١٩٥٢**، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م.
- الشدياق: طنوس، **كتاب أخبار الأعيان في جبل لبنان**، قدَّمه وفهرسه: فؤاد البستاني، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ط١، ١٩٦٩م.
- الصاري: عادل، **الموحدون الدروز وإشكالية الهوية**، مجلة أصول الدين بالجامعة الأسمرية الإسلامية، العدد (١)، ٢٠١٦م، ليبيا.

- الصليبي: كمال، **تاريخ لبنان الحديث**، دار النهار للنشر، بيروت، ط٤، ١٩٧٨م.
- الطبري: محمد بن جرير، **تاريخ الأمم والملوك**، مؤسسة عزالدين، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- عبدالرحيم: عبدالرحيم عبدالرحمن، **الدولة السعودية الأولى**، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ط٦، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- أبو عز الدين: إسماعيل، **إبراهيم باشا في سوريا**، المطبعة العلمية، بيروت، ط١، ١٩٢٩م.
- أبو عز الدين: نجلاء، **الدروز في التاريخ**، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
- علي: محمد كرد، **الحكومة المصرية في الشام**، المطبعة السلفية القاهرة، ط١، ١٣٤٣هـ.
- ـــــــــــــــــ، **خطط الشام**، مكتبة النوري، دمشق، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- عواجي: غالب، **فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها**، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة، ط٤، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- العورة: إبراهيم، **تاريخ ولاية سليمان باشا العادل**، مطبعة دير المخلص، صيدا، ط١، ١٩٣٦م.
- ابن عيسى: إبراهيم وعبدالله البسام، **مجموع في التاريخ النجدي**، خزانة التواريخ النجدية، جمع وترتيب وتصحيح عبدالله بن عبدالرحمن البسام، ج٧، (د.م)، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
- أبو العينين: حسن، **لبنان دراسة في الجغرافيا الطبيعية**، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.
- الغزي: كامل، **نهر الذهب في تاريخ حلب**، دار القلم، حلب، ط٢، ١٤١٩هـ.

- الغنَّام: سليمان، **سياسة محمد علي باشا التوسعية في الجزيرة العربية والسودان واليونان وسوريا ١٨١١-١٨٤٠م**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.
- القفاري: ناصر، **أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية – عرض ونقد –**، (د.ن)، (د.م)، ط١، ١٤١٤هـ.
- الكركوكلي: رسول، **دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء**، ترجمة: موسى كاظم، دار الكاتب العربي، بيروت، ط١، (د.ت).
- الكروى: إبراهيم، **طبقات مجتمع بغداد في العصر العباسي الأول**، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٨م.
- المحامي: محمد فريد بك، **تاريخ الدولة العليَّة العثمانية**، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- مشاقة: ميخائيل، **مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان**، (د.ن)، القاهرة، ط١، ١٩٠٨م.
- مصطفى: أحمد، **في أصول التاريخ العثماني**، دار الشروق، القاهرة، ط٣، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- أبو مصلح: كمال، **معجم العربي المستعجم من أسماء المدن والقرى والأماكن في الجمهورية اللبنانية**، الدار التقدمية، الشوف، ط٢، ٢٠١١م.
- المقريزي: تقي الدين، **المقفى الكبير**، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- ـــــــــــــــ، **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، تحقيق: محمد حلمي، لجنة إحياء التراث بوزارة الأوقاف، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- نسيب: نكد، **الإمارة الشهابية والإقطاعيون الدروز**، تحقيق وتقديم: نائلة قائدبيه، دار النهار، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
- هريدي: محمد، **الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحسار المد الإسلامي عن أوربا**، دار الصحوة، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

- ثالثًا: المؤلفات المُعرَّبة:

- أوبنهايم: ماكس، **الدروز**، ترجمة: محمود كبيبو، دار الوراق، لندن، ط٢، ٢٠٠٩م.
- بورون: **الدروز**، ترجمة: عادل تقي الدين، مطبعة القديس بولس، حريصا، ١٩٣٣م.
- بيركهارت: جون لويس، **رحلات في الديار المقدسة والنوبة والحجاز**، ترجمة: فيصل أبوغوث، وزارة الثقافة في المملكة الأردنية الهاشمية، عمَّان، ط١، ١٩٩٣م.
- روجان: يوجين، **العرب من الفتوحات العثمانية إلى الحاضر**، ترجمة: محمد الجندي، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١١م.
- كتافاكو: إنطوان، **إبراهيم باشا المصري في فلسطين ولبنان وسوريا**، ترجمة: الخوري بولس، مطبعة القديس بولس، حريصا، ط١، ١٩٣٧م.
- مواريه: جوزيف، **مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية على مصر**، ترجمة: كاميليا صبحي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.
- موستراس: س، **المعجم الجغرافي للإمبراطوية العثمانية**، ترجمة وتعليق: عصام محمد الشحادات، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- يانج: جورج، **تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل**، ترجمة: علي شكري، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

رابعًا: المؤلفات الأجنبيَّة:

Barker: Edward, **Syria and Egypt under the last five Sultans ot Turkey**, vol: 2, Samuel Tinsley, London, First published.

Casale: Giancarlo, **The Ottoman Administration of the Spice Trade in the Sixteenth-Century Red Sea and Persian Gulf**, Journal of the Economic and Social History of the Orient, Vol. 49, No. 2 (2006).

Erickson: Edward and Mesut Uyar, **A miltary history of the Ottomans from Osman to Ataturk**, Praeger Security International, California, First published, 2009.